سر الغواصة المجهولة

محمود سالم

سر الغواصة المجهولة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

سر الغواصة المجهولة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٥ ٢٤٤٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
تقرير للتسلية!	١١
الرجل العجوز يفعل شيئًا	١٧
نزهة في الليل	٢٣
البحث عن الستة	٢٩
أشياء كثيرة ... غير منظمة	٣٥
كيف ينتهي الصراع؟	٤١
السر الخطير	٤٧
النهاية ... كما لا يتصورها أحد	٥٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

تقرير للتسلية!

عندما تسلمت «إلهام» تقرير رقم «صفر» في ذلك الصباح المشرق من شهر سبتمبر لم يكن في المقر السري من الشياطين الـ «١٣» في بيروت غيرها ... وكان بقية الشياطين الذين قضوا الفترة الأخيرة بلا عمل قد تفرَّقوا بين الجبل ودمشق في رحلات للتسلية ... بينما كان «أحمد» في ذلك اليوم يتولى العمل في قسم الأجهزة الإلكترونية أسفل المقرِّ السرِّي. وكان «عثمان» في ورشة السيارات.

قرأت «إلهام» التقرير وابتسمت وقالت تُحدِّث نفسها: حتى التقرير القادم من رقم «صفر» رغم طوله مكتوب عليه للتسلية ... شيء مُدهِش ... لقد أصبحنا شياطين للتسلية وليس للمغامرات والكشف عن الأسرار ومطاردة الأشرار!

وقالت «إلهام» وهي تنظر إلى المرآة وتسوي شعرها ... لعلَّ الفائدة الوحيدة من التقرير أنه سيَجعلني أرى «أحمد» ... ثم نزلت مُسرعة بعد أن تركت التقرير في الغرفة؛ فقد كان ممنوعًا تمامًا إخراج التقارير من المقرِّ السري ... مهما كانت ضآلتها أو بساطتها.

كان «أحمد» يجلس وحيدًا يتسلى بقراءة بعض الصحف والمجلات عندما سمع وقع أقدام «إلهام» خلفه ... وتظاهَر بأنه لم يسمعها ... وعندما وضعت يدَيها على عينيه برفق تركها دون أن يلتفت ... فقد أحس أن قبضة من ورق الورد تُحيط بعنقه وعينيه ... وتمنى أن يظل هكذا إلى الأبد.

غيرت «إلهام» صوتها وهي تقول: من أنا؟

ضحك «أحمد» وهو يرد: «عثمان»!

ضغطت «إلهام» على رقبته بذراعيها برفق وقالت: لا!

عاد «أحمد» يقول: «قيس»؟

ردت «إلهام»: لا ... «ليلى»!

قال «أحمد»: مسكين «قيس» ... لقد تعذَّب كثيرًا من أجل «ليلى».

إلهام: لقد كان خوافًا ... ولو كان مثل «عنترة» مثلًا لخطف «ليلى» على حصانه!

أحمد: لعلَّه خشيَ أن تَصرخ «ليلى» وتُجمِّع عليه الناس.

إلهام: في هذه الحالة يكون غبيًّا أيضًا!

أحمد: هل تَضمنين له ألا تصرخ؟

إلهام: نعم أضمن.

وأمسك «أحمد» بذراعَي «إلهام» وقال: في هذه الحالة ...

تخلَّصت «إلهام» من يدَي «أحمد» ببراعة وقالت: في هذه الحالة يا أستاذ «قيس» عليك أن تُعدَّ السيارة وتَخرُج لنتغدى في الخارج ... فقد ضقت بالبقاء في المقر.

أحمد: لقد استبدل عنترة بحصانه سيارة من أحدث طراز.

إلهام: وقررت «ليلى» أن تذهب معه دون صراخ.

ووقف «أحمد» والتفت إلى «إلهام» التي قالت هامسة: تقرير من رقم «صفر»!

اختفت ابتسامة «أحمد» وقال باهتمام: ماذا فيه؟

إلهام: يقول رقم «صفر» إنه تقرير للتسلية.

زم «أحمد» شفتيه وقال: صحيح؟!

إلهام: هيا قل لعم «سرور» أن يغلق الأبواب، وتعالَ نقرأ التقرير ثم نذهب للغداء.

وأصدر «أحمد» تعليماته، ثم صعدا معًا إلى الطابق الأول حيث المقر السري ... وأسرعت «إلهام» تُحضر التقرير. وبعد أن اغتسل «أحمد» وغير ثيابه عاد إليها، فقالت له: اسمع يا سيدي.

من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»

هذا التقرير ليس مُلزمًا لكم بالعمل ... ولكن يُمكن اعتبار ما فيه للتسلية أو المران ...

وسكتت «إلهام» لحظات ثم مضت تقرأ: «توفي منذ أيام في مستشفى بوسطن بالولايات المتحدة بحار عجوز فقَدَ ذاكرته ثلاثين عامًا متصلة، وقد عثرت دورية بريطانية على ذلك البحار أثناء عاصفة هبت على المحيط الهادي في شهر يناير ١٩٤٤م ... ولم يكن مع البحار أيَّة أوراق تدل على شخصيته، كذلك لم يكن بالقرب من المكان الذي وُجدَ فيه أية آثار لسفينة غارقة مما يُرجح أن البحار قد سقط من إحدى السفن ليلًا أثناء العاصفة ولم

يَتنبه إليه أحد. وقد نشرت الجرائد في إنجلترا، ثم في الولايات المتحدة صورة البحار وطالبت من يعرفه أن يتقدم، ولكن لم يتقدَّم أحد ولم يتصل به إنسان طوال فترة الثلاثين عامًا الماضية.

وقد ظل البحار المذكور فاقد الذاكرة تمامًا. لم يتذكَّر اسمه أو من أين أتى مطلقًا، وقد أجرى عليه عددٌ كبير من الأطباء في إنجلترا تَجارب كثيرة لعله يستعيد ذاكرته ولو جزئيًّا ولكن دون جدوى ... ثمَّ نُقلَ إلى الولايات المتحدة وقامت أكبر مراكز الأبحاث بنفسِ المُحاولة لإعادة ذاكرتِه إليه ... ولكنه لم يتذكَّر شيئًا مُطلقًا حتى مات.

قال «أحمد» مقاطعًا: لقد قرأت هذه القصة المدهشة في صحف الأسبوع الماضي، ولفتت نظري لغرابتها.

عادت «إلهام» تقرأ: ولم يكن في البحَّار علامات غير عادية، سوى وشم مرسوم على ظهره وهذا الوشم يُمثِّل شيئًا كالثعبان ... أو كرأس حيوان خرافي. وعندما نقل العلماء صورة للوشم وشاهدها البحار لم يتذكَّر شيئًا مطلقًا.

وسكتت «إلهام» لحظات ثم مضَت تقرأ: وعندما تُوفي البحار ونُشرت صورته للمرة الأخيرة مع قصته الغريبة ظهر رجلٌ وتعرَّف عليه ... وهذا الرجل إنجليزي يُدعى «هنتر سميث» وطلب تسليم الجثمان له ... وقال «هنتر» إن البحار العجوز يُدعى «سيمون موران»، وإنه كان بحارًا في سفينة فرنسية أغرقتها عاصفة في المحيط الهادي ... وقد شكَّت السلطات الأمريكية في أقوال «هنتر» ... لأنه من المعروف أن فرنسا لم يكن لها أية سفن في منطقة المحيط الهادي أثناء الحرب العالَمية الثانية ... ولكن «هنتر» أكَّد أن السفينة كانت مُكلَّفة بمهمة سرية ... ولكن السلطات لم تُصدِّق هذا التفسير ورفضت تسليم الجثمان له.

عاد «أحمد» يقول: قرأت هذه التفاصيل أيضًا.

عادت «إلهام» تقول: انتظر قليلًا ... فهناك شيء لم تقرأه في الصُّحف ... لقد تسلَّل شخصٌ ليلًا إلى المستشفى وعبث بحاجيات «سيمون موران» وبجُثمانه ... ويبدو أنه كان يبحث عن شيء ما. وقد تنبَّه حرس المستشفى إليه وطاردوه، ولكنه تمكَّن من الهرب ... ويشكُّ الحراس أنه كان «هنتر سميث».

أحمد: هذا أيضًا ذكرته الصحف.

إلهام: إليك إذن ما لم تَنشرْه الصحف ... لقد غادر «هنتر» الولايات المتحدة بطريق البر إلى كندا ... ومنها إلى ألمانيا ... ثم إلى منطقة الشرق الأوسط ... وإلى بيروت بالذات ...

انتبه «أحمد» وقال: بيروت؟!

إلهام: نعم بيروت ... ولم يحضر «هنتر» وحده ... وليس هناك تُهمة معينة يُمكن أن تُوجَّه إلى «هنتر» ... فلم يكن الحراس متأكِّدين من شخصيته ... ولهذا يقول رقم «صفر» ... إنه للتسلية فقط أو للمران يُمكننا أن نُحاول معرفة لماذا جاء «هنتر سميث» إلى بيروت.

أحمد: ولكن ما سرُّ اهتمام رقم «صفر» وأجهزة الأمن بهذا الـ «هنتر سميث»؟ ولماذا تابعوه من الولايات المتحدة إلى كندا ... ثم ألمانيا حتى وصوله بيروت؟

إلهام: لسبب بسيط، كما يقول تقرير رقم «صفر»، أن «هنتر سميث» دخل الولايات المتحدة بهذا الاسم ... ولكن عندما وصل إلى ألمانيا تحوَّل إلى «هانز شميدت» ... وقد جاء إلى بيروت بهذه الصفة ... أي إنه يعيش تحت اسمين مختلفين. ورجل يعيش بهذه الطريقة معناه أنه يُخفي سرًّا.

أحمد: على كل حال المسألة تستحق البحث ما دام رقم «صفر» مهتمًّا بها ... وما دمنا لسنا مشغولين بشيء معين ... فلنُحاول معرفة ماذا يُخفي «هنتر سميث» أو «هانز شميدت»!

إلهام: أظنك لا تمانع أن نتغدى أولًا؟

أحمد: وليكن هذا في فندق فينيسيا ... ألم يُرسل رقم «صفر» أوصاف «هانز»؟!

إلهام: في التقرير مُلحَق بكل أوصافه ... عجوز في الخامسة والستين ... نحيف ظاهر الحيوية والنشاط ... سحنتُه ألمانية أكثر منها إنجليزية ... يرتدي في العادة جاكيتًا أسود بأزرار نحاسية وبنطلونًا رماديًّا ... وهذا يُعطيه طابع البحار ... وقد طلب رقم «صفر»، كما يقول في تقريره، معلومات أكثر من السلطات الألمانية عن شخصية «هانز».

بعد دقائق كانا يَمران في الجراج ... وكان «عثمان» ما زال يشرف على العمل في قسم السيارات الذي يعمل طول النهار ... وروى له «أحمد» سريعًا ما جاء في تقرير رقم «صفر»، ثم ركب مع «إلهام» سيارةً انطلقت بهما إلى فندق فينيسيا الفاخر، وكلٌّ منهما يفكر في اللحظات القادمة.

قال «أحمد» وهو يركن السيارة بجوار الفندق الفخم: يعجبني في هذا الفندق الجو العجيب الذي يحسُّه الداخل إليه ... إن كمية الرخام الضخمة التي رُكبت فيه تعطي الإحساس أنني أدخل معبدًا عصريًّا إذا صحَّ هذا التعبير!

قالت «إلهام» ضاحكة: ما هذه الفلسفة يا أستاذ؟

ورَدَّ «أحمد» مُبتسمًا: المهم أنني أحسُّ أننا لن نكتفي بالتسلية بشخصية «هنتر» هذا ... بل سنعثر على سرٍّ كبير ...

وكانت في انتظارهما على باب الفندق مفاجأة كاملة ... فقد توقَّفَت إحدى السيارات الفخمة ونزل منها «هنتر سميث» بلحمه وشحمه ... وبالجاكيت الكحلي ذي الأزرار النحاسية، وراقَبَه «أحمد» في فضول ... كان مزموم الشفتَين، وشعره الفضي يتناثَر مع الهواء في رشاقة شاب في العشرين.

كان «أحمد» و«إلهام» يَسبقان «هنتر» في الصعود ... وتوقف «أحمد» و«إلهام» وتركاه ومن معه يمرُّون أمامهما ... ونظر «أحمد» إلى الرجلين الآخرين ... كانا مُختلفَين تمامًا ... طويلَي القامة ... تبدو عليهما الشراسة ... ومن الانتفاخ الواضح في جانب كلٍّ منهما ... تأكد «أحمد» أنهما يحملان مسدَّسين ضخمين.

ودخل الرجال الثلاثة إلى الفندق ... وأسرع «أحمد» و«إلهام» يختاران مائدة قريبة، ولكن بعد أن أدارا ظهريهما إلى الثلاثة حتى لا يروا وجهيهما ... وفي نفس الوقت كانت المرآة الكبيرة التي بالحائط تكشف ما يفعله الرجال الثلاثة.

ولاحظ «أحمد» على الفور الاحترام الواضح الذي يُعامِل به الرجلان «هنتر» ... وأدرك أن الرجل يفرض عليهما نفوذًا خفيًّا.

وفجأة لمح «أحمد» في المرآة «عثمان» ينظر هنا وهناك. وأدرك أنه يبحث عنهما ... وقبل أن يتحوَّل «أحمد» شاهدهما «عثمان»، ثم اتجه إليهما مسرعًا. وسحب كرسيًّا وجلس ... ثم مال على «أحمد» وقال هامسًا: بعد انصرافكما مُباشرةً أضاء النور الأحمر في قسم السيارات ... وصعدت على الفور؛ فقد أدركت أن هناك تقريرًا من رقم «صفر». وقد تلقيت التقرير، ولأهميته حضرت إليكما.

كان «أحمد» يستمع وعيناه تُتابعان في المرآة ما يفعله الرجال الثلاثة، كان «هنتر» قد مال على المائدة وأخرج من جيبه قلمًا ... وعلى ورقة صغيرة كان يَشرح شيئًا للرجلين الآخرين ... وكانا يُتابعانه باهتمام بالغ.

الرجل العجوز يفعل شيئًا

ظلَّ «أحمد» يُتابع الرجلين بعينَيه، بينما أخذ «عثمان» يُدلي بتقرير موجز عما أرسله رقم «صفر».

قال «عثمان» بصوت خفيض: يُحذِّر رقم «صفر» من الاشتباك مع الرجال الثلاثة الآن ... ويُفضِّل الاكتفاء بمراقبتهم ... لقد علم أن الرجال الثلاثة يَبحثُون عن رجل مجهول الشخصية يعيش أو كان يعيش في بيروت منذ فترة طويلة من الزمن. وهو يُريد أن يعرف هل عثر الرجال الثلاثة على الرجل أم لا ... وإذا كان من الممكن معرفة اسم الرجل الذي يبحثون عنه.

كان «عثمان» يُدلي بتقريره وهو يشرب كوبًا من عصير الليمون، وكأنه يتحدث في أمر عادي جدًّا، بينما كانت «إلهام» تَبتسِم وكأنها تَستمِع إلى نكتة ... وكان «أحمد» ما زال يُتابع ما يفعله الرجال الثلاثة في المرآة ... وشاهد في المرآة رجلًا ضخم الجثة، يلبس بذلة بيضاء ويَمسح عرَقَه بمنديل يدخل من الباب، ويَنظر حوله ثم انضمَّ إلى الرجال الثلاثة. وأحنى رأسه لـ «هنتر» وهو يجلس، ثمَّ مال عليه وأخذ يتحدَّث بسرعة ... فقال «أحمد» مُوجِّهًا حديثه إلى «عثمان»: أعتقد أن الرجل السمين سوف يخرج بعد قليل ... انتظره في الخارج يا «عثمان» ... واتبعه ... إنه في الأغلب لبناني!

قضى الرجل السَّمين ذو الملابس البيضاء فترة يتحدَّث، ثم قام فانحنى مرةً أخرى محييًا وخرج ... وكان «عثمان» قد سبقه وانتظره في الخارج ... وبعد فترة أخرى قام الرجال الثلاثة واتجهوا إلى المطعم، فقالت «إلهام»: هل سنَتغدَّى هنا؟

أحمد: لا أريد أن ألفتَ أنظارهم إلينا ... سنتغدَّى في مكان آخر.

وقاما معًا فغادَرا الفندق الفخم، وقال «أحمد»: آسف ... سأَعتذِر عن الدعوة ونتناول الغداء في المقرِّ السرِّي ... فقد تفتَّحت شهيَّتي للعمل وليس للطعام.

عادا إلى المقرِّ السري ... وكان عدد من الشياطين قد عاد أيضًا ... واجتمعوا جميعًا لبحث تقارير رقم «صفر» ... والشيء المُدهِش الذي لاحظته «إلهام» أنهم جميعًا تحمَّسوا العمل والبحث ... وكان واضحًا أنهم ضاقوا ذرعًا بفترة الهدوء التي مرَّت بهم.

بعد الغداء وصل «عثمان» ... واستقبله «أحمد» باهتمام بالغ، فقال «عثمان»: إنَّ الرجل اللبناني يُدعى «كريم» ... ويَملك مكتبًا للعلاقات العامة في بناية دعبور ... وقد عرفت أن له نشاطًا واسعًا في منطقة الخليج العربي!

قال «أحمد» مُفكِّرًا: علاقات عامة ... في الخليج العربي؟!

عثمان: هل يَعني هذا شيئًا بالنسبة للموضوع؟

أحمد: أعتقد!

وذهب «عثمان» للغداء ... بينما جلس «أحمد» وبقية الشياطين يتحدَّثون ... كان منهم في المقر «أحمد»، و«إلهام»، و«بو عمير»، و«هدى»، و«زبيدة» بالإضافة إلى «عثمان» ... وكان الباقون في دمشق.

قال «أحمد»: أُريد فكرة لاستخدام «كريم» في عمل.

بو عمير: صاحب مكتب العلاقات العامة؟

أحمد: نعم ... أريد أن نجد سببًا لدخول مكتبه، ومعرفة ماذا يريد الرجال الثلاثة منه.

إلهام: مسألة بسيطة ... سنَطلُب منه خدمة.

أحمد: أي خدمة؟

إلهام: مثلًا ... نريد أن نفتتح فرعًا لبيع الآلات الكاتبة في الخليج العربي، وليَختر لنا هو البلد الملائم ... ويَستأجِر المكان ... وسنَدفع له بسخاء.

أحمد: فكرة مدهشة! ... وسيذهب «سرور» ومعه أحدنا لهذا الغرض ... أين «سرور»؟

وسرعان ما كان عم «سرور» يقف أمام الشياطين مبتسمًا وقال «أحمد»: نريدك أن تساعدنا يا عم «سرور».

وتذكَّر «سرور» مغامراته القديمة ... وبرقت عيناه وقال: إنني هنا في خدمتكم!

أحمد: أريدك أن تلبس أحسن ثيابك ... وستأخذ معك «بو عمير» وستذهب إلى مكتب «كريم» للعلاقات العامة في بناية دعبور ... وتَفاهم معه أنك تريد أن تفتح فرعًا لشركتنا في الخليج ... وعليه أن يَختار البلد وسيُأجِّر المكان باسمك، وتحت تصرُّفك أي مبلغ يطلبه من المال كعمولة ... وقل له إنك تسافر كثيرًا، وإن «بو عمير» سيكون مندوبك.

سرور: هل أذهب الآن؟

أحمد: غدًا صباحًا ... فقد يُرسل رقم «صفر» تقريرًا اليوم لاستكمال المعلومات عن الرجال الثلاثة ... وقد لا نُضطر لاتخاذ هذا الإجراء، وأُريدك أن تفتح عينيك وأذنيك جيدًا لكل ما يدور في مكتب «كريم» ... إن كلمة واحدة قد تدلنا على ما يُريد الرجال الثلاثة. وبالطبع فإن «بو عمير» يفهم التعليمات.

وانصرف عم «سرور» وقد ازدادت ابتسامته اتساعًا ... لقد كان في شبابه من أفضل رجال المخابرات ... ورغم أنه كبر في السن ... إلا أنه ما زال يستطيع القيام بهذا الدور المطلوب منه ببساطة.

وانضم «عثمان» إلى الشياطين ... شرح له «أحمد» الخطة التي سيبدءون بها ... ووافق «عثمان» بحماس.

في صباح اليوم التالي كان «سرور» و«بو عمير» يستقلان سيارة فاخرة في الطريق إلى مكتب «كريم»؛ فلم تصل تقارير من رقم «صفر» بعد وضع الخطة ... وبعد مسيرة نحو ربع ساعة وصلا إلى البناية الضخمة ... وقرءوا اللافتة الخاصة بمكتب «كريم» للعلاقات العامة، وركبوا المصعد إلى الطابق الخامس.

كان المكتب يشغل شقة فاخرة ... واستقبلتْهما فتاة رشيقة مُبتسمة، واستفسرت منهما عن الغرض من الزيارة، فشرح لها «سرور» أنه يريد الاستعانة بالمكتب في فتح فرع لشركة الآلات الكاتبة في إحدى دول الخليج، وطلبت منهما الفتاة الانتظار في غرفة استقبالٍ فاخرة، ثم اجتازت ممرًّا طويلًا تفتح عليه عدة غُرف ... وغابت لحظات، ثم عادت ودعتهما لمقابلة الأستاذ «كريم».

استقبلهما الأستاذ «كريم» بحماس وترحيب شديدَين ... فقد كان واضحًا من ملابسهما أنهما يمثلان شركة كبيرة ... وجلس الثلاثة يتحدثون، ومرة أخرى شرح «سرور» لـ «كريم» الغرض من الزيارة ... ثم أشار إلى «بو عمير» قائلًا: وهذا الشاب سيُمثِّلني في غيبتي؛ فإنني أسافر كثيرًا.

قال «كريم» مبتسمًا: شيء عظيم الاعتماد على الشباب ... ويبدو أنه على درجة كبيرة من الذكاء والمقدرة!

تلقَّى «بو عمير» المدح بابتسامة مُتواضِعة ... وكانت عيناه مشغولتَين باكتشاف المكان وفحص شخصية «كريم»، وعاد «كريم» يقول: إن لنا شبكة واسعة للاستعلامات في دول وإمارات الخليج ... وسوف ندرس لحسابكما أفضل الفرص للشركة ... ونحن نتقاضى أربعمائة ليرة تحت حساب الأتعاب.

مدَّ «سرور» يده في جيبه وأخرج رزمة ضخمة من الليرات، ودفع إلى «كريم» بأربع ورقات من فئة المائة ليرة ... تناولها «كريم» مسرورًا ... وقال إن السكرتيرة سوف تعطيه إيصالًا بالمبلغ.

بدت المقابلة وكأنها تُوشك على الانتهاء ... بينما كان «بو عمير» يتمنى أن تطول أكثر، حتى تُتاح له فرصة أطول للرؤية والاستماع ... فألقى لهذا الغرض سؤالًا عن المدة التي يستغرقها البحث.

وقال «كريم»: بالصدفة الطيبة إنَّني مسافر خلال أيام قليلة لجولة في المنطقة ... وعسى أن أعود بالمعلومات المطلوبة.

ومرةً أخرى سأل «بو عمير»: هل للمكتب أنشطة أخرى يُمكن الاستفادة منها؟

وفتح «كريم» فمه ليتكلَّم، ولكن جرس التليفون دق في هذه اللحظة، وأسرع يرفع السماعة، وما كاد يضعها على أذنه حتى بدَت على وجهه علامات الاهتمام الزائد، وأخذ يتحدث بالفرنسية بصوت مُنخفِض. وكانت أذن «بو عمير» كالرادار تتجه إليه محاولًا الاستماع إلى أي كلمة ... بينما كان ينظر في اتجاه آخر حتى لا يتسرَّب أي شك إلى الرجل السمين «كريم»، ولاحظ «بو عمير» أن «سرور» يبتسم، وسمع «كريم» يقول بصوت لاهث: أرجو ذلك يا سيدي. إنني في انتظار ...

وضاعت الكلمة من «بو عمير» ... ثم عاد يسمع: إنني أفعل ما بوسعي يا سيدي ... وهناك ستة ... ومرة أخرى ضاعت الكلمات من «بو عمير» ... ثم عاد «كريم» يقول: بالطبع يا سيدي.

ووضع «كريم» السماعة وأخرج منديله وأخذ يجفف عرقه ... ثم التفت إلى «بو عمير» قائلًا: إن هناك قائمة بالأعمال التي نقوم بها مع السكرتيرة يمكنك الحصول عليها.

كان واضحًا من حديثه أنه يُريد أن ينهي المقابلة ... وقبل أن يسأل «بو عمير» سؤالًا آخر وقف «سرور» ومد يده يسلِّم على «كريم» ... واضطرَّ «بو عمير» للوقوف وهو ساخط ... فهو لم يحصل على شيء ذي قيمة.

عندما غادر «سرور» و«بو عمير» العمارة الضخمة، واتجها إلى السيارة قال «بو عمير»: كنت أريد أن تُتيح لي فرصة أطول للحديث معه.

سرور: لماذا؟

بو عمير: لماذا؟ ألم نأتِ أصلًا لمعرفة ماذا يدور في هذا المكتب؟!

سرور: طبعًا. وسنَعرف كل شيء يدور في غرفة «كريم».

التفت «بو عمير» إلى «سرور» وهما يَركبان السيارة وقال: كيف؟

ابتسم «سرور» وقال: لأنني وضعت جهاز تسجيل دقيق أسفل مكتب «كريم»، منذ دخلت الغرفة، ولعلَّك لاحظت أنني انحنيت لأربط حذائي.

بو عمير: لاحظت ولم أهتم!

سرور: هذه اللحظة كنت ألصق الجهاز الصغير أسفل المكتب خلف القائم مباشرةً حيث لا يُمكن أن يراه أحد إلا إذا نزل تحت المكتب وفحص كل سنتيمتر فيه.

اصطبغ وجه «بو عمير» بحمرة الخجل عندما سمع هذا الكلام. وأدرك أن «سرور» العجوز أبرع مما تصوَّر بكثير، وقال معتذرًا: آسف جدًّا ... فقد أحسست عندما أنهيت المقابلة أنني أكاد أنفجر غيظًا.

سرور: إن «كريم» رجل حذر، ولا أظنه كان سيتحدَّث عن أسرار أمامنا ... رغم أن بعض ما قاله يَصلُح لبعض الاستنتاجات.

ومضت السيارة تشق طريقها ببطء بين مئات السيارات التي يحفل بها شارع الكورنيش وهي في الطريق إلى المقر السري.

وقال «سرور»: لقد فحصت قفل الباب بنظرة سريعة، وعرفت أي نوع هو، وسأُدبِّر لكم مفتاحًا له، ويُمكن أن تقوموا ليلًا بأخذ جهاز التسجيل ووضْع جهاز آخر ... أو استبدال الشريط.

ومرةً أخرى أحس «بو عمير» بالاحترام لعم «سرور» العجوز وأدرك أن رقم «صفر» كان على حق عندما ألحقه بالخدمة في المقرِّ السري.

عندما عاد «سرور» و«بو عمير» إلى المقر السري كان بقية الشياطين في انتظارهما. ودخل «سرور» إلى غرفته، وقدَّم «بو عمير» تقريرًا بما حدث لبقية الشياطين ... وقد روى «بو عمير» بدقة كل ما حدث ... وشرح ما قام به «سرور» ... وابتسم الشياطين جميعًا ... ثم قال «أحمد»: إنه درس قيم من عم «سرور» لنا.

بو عمير: لقد أحسستُ بالخجل أمام ذكائه وتدبيره.

وفي هذه اللحظة انطلق صوت جهاز اللاسلكي منبئًا بتقريرٍ من رقم «صفر» وأسرعت «زبيدة» لتلقِّي التقرير، وجلس الشياطين جميعًا صامتين في انتظار عودة «زبيدة» التي لم تَغِب طويلًا ثم عادت ومعها التقرير، وقالت وعلى وجهها علامات الدهشة: إنَّ تقرير رقم «صفر» يعني أن نتوقف عما نفعل تمامًا!

نظر إليها الشياطين فمضت تقول:

من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»

لقد غادر الرجال الثلاثة بيروت منذ ربع ساعة إلى باريس ... أعتقد أن مهمَّتكم تنتهي عند هذا الحد ... ولا تنسوا على كل حال أنَّني قلت لكم من البداية إن التقرير الأول كان للتسلية أو التمرين فقط. شكرًا.

نزهة في الليل

ساد الوجوم الشياطين الستة ... وعندما حضر عم «سرور» بعد لحظات يمسك في يده بضعة مفاتيح ابتسموا له ابتسامة اعتذار ... فلم تعد هناك حاجة لها ... وقال «أحمد»: هل هذه مفاتيح مكتب «كريم»؟

سرور: نعم.

أحمد: للأسف لم يَعُد لها فائدة، لقد غادر الرجال الثلاثة الذين كنا نتعقبهم بيروت عائدين إلى فرنسا ... وأرسل رقم «صفر» تقريرًا يطلب فيه الكف عن متابعة الموضوع كله.

توقَّع الشياطين أن يبدو الضيق على «سرور»، ولكنه بدلًا من ذلك ابتسم قائلًا: قد يعودون!

أحمد: بالطبع ... قد يعودون!

سرور: إذن ما المانع أن تقوموا بنزهة ليلية إلى مكتب «كريم» على الأقل ستعرفون نوع النشاط غير العلني الذي يقوم به ... وقد تستفيدون منه في المستقبل.

أحمد: معك كل الحق.

وتناول «أحمد» مجموعة المفاتيح وقال «سرور»: واحد منها يفتح المكتب بالتأكيد؛ فقد تعاملت مع هذا النوع من الأقفال من قبل، وأعتقد أنكم لن تجدوا مشكلة في فتح الباب والعودة بجهاز التسجيل الصغير ... وحتى لو لم يكن عليه شيء ذو أهمية فلا بدَّ أن نستعيد الجهاز الصغير ... فهو من أحدث الأنواع وأكثرها دقة.

أحمد: سنقوم بالنزهة الليلية يا عم «سرور» ... وشكرًا لك.

قالت «إلهام»: في هذه الحالة لا بدَّ أن نُرسل تقريرًا إلى رقم «صفر» بما سنفعله، فقد يحدث شيء غير متوقَّع.

أحمد: بالطبع ... أرسلي له تقريرًا مفصلًا عن كل ما فعلنا ... وعن ضرورة استعادة جهاز التسجيل الصغير.

وقضى الشياطين بقية النهار في عمل روتيني. وكان «بو عمير» قد كتب كل الكلمات التي سمعها في مكتب «كريم»، ليرى مدى مطابقتها لما سيجدُه في جهاز التسجيل كامتحان لقدرته على الاستماع إلى الأحاديث الهامسة.

في الثانية عشرة ليلًا، غادر «بو عمير» و«أحمد» المقر السري. كانا يَرتديان ملابس سوداء وأحذية من المطاط، وتسلَّحا بمسدسين كاتمَين للصوت، ولم ينسيا بالطبع سلسلة المفاتيح التي أعدها «سرور». واستقلا سيارة سريعة من السيارات الحديثة التي زوَّدهم بها رقم «صفر» مؤخرًا، ثم اتخذا طريقهما إلى بناية دعبور.

تولى «بو عمير» قيادة السيارة لأنه يعرف الطريق ... ومرَّا بالبناية مرة دون أن يتوقفا أمامهما. كان ذلك للاستطلاع. وقال «أحمد» الذي كان في الجانب الذي تقع به العمارة: لا شيء مريب. سنقف بالسيارة بعيدًا ثم نتسلل إلى العمارة.

بو عمير: هل الباب مفتوح؟

أحمد: نعم ... وقد لاحظت أن هناك اسم نادٍ ليلي في أعلى العمارة ... وهذا يعني أن لا أحد سيسألنا عندما ندخل.

تركا السيارة على مبعدة ثم نزلا، واقتربا من العمارة وهما يتضاحكان. وعندما دخلا وجدا البواب يجلس على مكتبه بعيدًا، وقد انهمك في إصلاح شيء في يده. فلم يَلتفِت إليهما ... وسرعان ما كانا يستقلان المصعد، ولحسن الحظ لم يكن فيه غيرهما. وسرعان ما أخذ يرتفع إلى الطابق الخامس.

فتح «أحمد» الباب ونظر حوله ... كان الطابق مكوَّنًا من أربع شقق ... إحداها شقة مكتب «كريم» ... وأشار لـ «بو عمير» واتجها سريعًا إلى الباب، وسرعان ما كان «أحمد» يُجرِّب مجموعة المفاتيح التي زودهما بها «سرور» ... بينما كان «بو عمير» يضع يده على مكان المسدس في جيبه، ويحمي «أحمد» من أي هجوم مُفاجئ.

سمع «بو عمير» تكَّة القفل، وأدرك أن الباب قد فُتح ... فتسلَّل داخلًا خلف «أحمد» ووجهه إلى الممر حتى لا يُفاجئهما أحد، ثم أغلق الباب خلفه.

أخرجا بطاريتهما ... وانطلق الشعاعان يُبدِّدان الظلام، وأشار «بو عمير» إلى مكتب «كريم»، وسرعان ما كانا يدفعان الباب في حذر، خوفًا من أيِّ مفاجأة، أدار «أحمد» شعاع البطارية في اتجاه المكتب ثم همس لـ «بو عمير»: ما رأيك في تفتيش المكتب؟ إنها فرصة ... فقد نجد شيئًا أفضل مما سنجده في شريط التسجيل!

ووافق «بو عمير» ... ووضعا إحدى البطاريتَين على المكتب ... وأمسك «بو عمير» بالأخرى وأخذ «أحمد» بأصابع مدربة يُفتِّش الملفات والأوراق ... وانقضى بعض الوقت قبل

أن يتوقف عند أحد الملفات ثم يُقلب أوراقه بسرعة ... ويهمس لـ «بو عمير» مرةً أخرى: أظن أن في هذا الملف ما يُهمنا.

وأخذ «أحمد» يقرأ أوراق الملف سريعًا، ثم مدَّ يده فأمسك بقلم من على مكتب «كريم» وورقة ثم أخذ يدون سريعًا بعض المعلومات. وأعاد وضع الملف مكانه ثم انحنى ومد يده تحت المكتب خلف القائم وبدأ يبحث عن جهاز التسجيل الصغير الذي وضعه «سرور». ولكنَّ يده لم تعثر عليه. وقال «أحمد»: شيء غريب! جهاز التسجيل الذي وضعه «سرور» غير موجود!

بو عمير: غير معقول، هل تتصور أن يكون «كريم» قد عثر عليه؟

أحمد: من يدري؟!

بو عمير: سأبحث بنفسي.

وتمدَّد «بو عمير» على أرض الغرفة، ثم زحف تحت المكتب، وأطلق شعاعًا من الضوء من بطاريته ... واستطاع أن يرى الجهاز الذي لا يَزيد حجمه عن قطعة من النقود المعدنية.

قال «بو عمير» وهو ينسحب عائدًا من تحت المكتب: لقد وجدته ... إنه حقًّا صغير جدًّا، ولم يكن في إمكانك أن تعثر عليه وأنت جالس.

أحمد: لقد أثبت «سرور» أنه لم ينسَ ماضيه كرجل مخابرات سابق.

بو عمير: الواقع إنه مثَّل دوره جيدًا ... ومن المؤكد أن «كريم» الآن يبحث جاهدًا عن مكتب لنا في إحدى دول الخليج.

ضحك «أحمد» وهو يقول: وإذا عثر على هذا المكتب، واتصل بكما، فماذا ستقولان له؟

قال «بو عمير»: ما أسهل أن تقول إن المكان لا يُعجبنا ... أو أننا لن ننفذ المشروع ... إن ما يهم «كريم» هو ما سيأخذه من أموال ... وقد دفعنا له مقدم أتعاب ... مُغرٍ!

أحمد: أرجو أن نجد على شريط التسجيل شيئًا!

بو عمير: وحتى لو وجدنا ... لقد طلب منَّا رقم «صفر» أن نعتبر الموضوع مُنتهيًا.

أحمد: لقد ضقنا ذرعًا بهذا الكسل. وسأرحب بالاشتراك في أي مغامرة حتى ولو كان ذلك بمجرد المران أو التسلية.

بو عمير: من يدري؟! هيا بنا.

أحمد: لنلقِ نظرة أخيرة على المكتب حتى نتركه كما دخلناه، ونضمن أن «كريم» لن يشك في شيء.

وبعد أن دار شعاع النور في جميع أنحاء الغرفة ... قال «أحمد»: أعتقد أن كل شيء على ما يرام ... هيا بنا.

وأطلق «بو عمير» شعاعًا يضيء طريقهما في الغرفة حتى لا يصطدما بشيء، وأغلقا الباب خلفهما، ومشيا في الدهليز ... واقتربا من الباب الخارجي. ووضَع «أحمد» أذنه على ثقب المفتاح يستمع إلى ما يُمكن أن يكون في الممر بين الشقق الأربع ... وفجأةً تراجع إلى الخلف وهمس: أصوات أقدام تقترب!

توقف الاثنان خلف الباب، وبدت أصوات الأقدام واضحة في الصمت، ثم توقفت أمام الباب ... وسمع الاثنان مفتاحًا يوضع في الباب ... وأسرعا يَجريان، ودخلا مسرعين إلى دورة المياه.

وسمعا صوت أقدام تجتاز الصالة، ثم أُضيء النور في الدهليز ... وسمعا صوت رجلين يتحدثان ... كانا يقفان قرب باب دورة المياه ... وبدا صوتهما واضحًا في الصمت، وكان أحدهما يقول: شيء غريب!

قال الآخر: هل أنت متأكد؟!

الأول: طبعًا ... لقد اعتدتُ في الفترة الأخيرة أن أغلق الباب بنفسي ... وأنا مُتأكد أنني أدرت المفتاح في الباب مرتين ... ولكنه الآن فتح بعد دورة واحدة ... فمن الذي فتحه بعدي؟ ومن الذي يُهمه أن يدخل المكتب في غيبتي؟

الثاني: هل تشك في أحد موظفيك؟

الأول: مطلقًا ... لقد اخترتهم جميعًا بنفسي ... وهم يعملون معي منذ فترة طويلة ولا يمكن لأحدهم أن يخونني.

الثاني: شيء غريب جدًّا! ... هل تَحتفِظ بنقود هنا؟

الأول: مبلغ بسيط لا يستحق السرقة ... للمصاريف العادية في المكتب.

الثاني: تعال نفتش المكتب.

وأخذت أصوات الأقدام تبتعد عن دورة المياه ... وضغط «أحمد» على ذراع «بو عمير» وفهم «بو عمير» على الفور أنها فرصتهما للخروج من المكتب ... واقترب «أحمد» من باب دورة المياه ثم أطل برأسه ... وفجأة عادت الأقدام مُسرعة ... والتقت عينا «أحمد» بعينَي رجلٍ بدت فيهما علامات الدهشة ... ولم يكن هناك وقت للتفاهم ... ففي قفزتين كان «أحمد» ينقض على الرجل بلكمة أطارته في الهواء، ثم سقط على أحد المقاعد ... وفي نفس الوقت كان الرجل الآخر قد خرج من غرفة المكتب ... وعرف «أحمد» على الفور أنه «كريم» ... في نفس ملابسه البيضاء، وعرقِه المُتصبِّب باستمرار ... وكان «كريم» لدهشة «أحمد»

يُمسِك بيده مسدسًا صغيرًا لامعًا وجَّهه إلى «أحمد» وقال مُهدِّدًا: لا تتحرك من مكانك، وإلا أطلقت الرصاص!

أخذ «أحمد» يتراجع إلى الخلف حسب خطة وضعها ... فقد كان يُريد أن يتيح لـ «بو عمير» فرصة للتدخل دون أن يراه «كريم» ويَعرفه ... وأخذ «كريم» يرسل تهديداته وهو يتقدم و«أحمد» يتراجع حسب خطته ويتمنى أن يفهمها «بو عمير». وقد فهمها «بو عمير» عندما شاهد من مكمنِه «أحمد» وهو يتراجع حتى تجاوز باب دورة المياه ... وشاهد ظهر «كريم» ... وتسلَّل على أصابعه وأصبح خلف «كريم» مباشرةً، فأهوى بقبضته على رأسه في ضربة واحدة. ونزل «كريم» على أثرها ساقطًا كشوال الرمل محدثًا دويًّا هائلًا في الصمت.

ودون كلمة واحدة، أسرع الصديقان خارجَين؛ فقد خشيا أن يُحدِث صوت سقوط «كريم» ضجة تَلفِت الأنظار ... وكان المصعد ما زال مكانه، فقفزا إليه، وسرعان ما كان يحملهما إلى الطابق الأرضي ... وبعد لحظات قليلة كانا يجتازان الشارع إلى حيث تركا سيارتهما ... فركباها، وقادها «أحمد» في دورة واسعة حول بيروت واضعًا في اعتباره أن يكونا مَتبوعَين لأي سبب.

وبعد أن تأكدا أنهما في مأمن من أي شخص يمكن أن يكون في أثرهما، اتجها إلى المقر السري.

صعدا مسرعين ... وكان «عثمان» وحده في انتظارهما ... فرويا له بسرعة ما حدث، ثم أخرج «أحمد» جهاز التسجيل من جيبه، وسرعان ما كانوا يستمعون إلى ثلاثة أحاديث تليفونية مسجلة. كان الحديث الأول هو ما سمع «بو عمير» بعض كلماته ... وكان نص الحديث يدور بين رجلين. قال الأول: هل أنت متأكد أنك وراء أثر صحيح؟

صوت «كريم»: أرجو ذلك يا سيدي ... إنني في انتظار مزيد من التقارير.

الصوت: لقد ضاع وقت طويل منذ أرسلنا لك قبل حضورنا.

كريم: إنني أفعل ما بوسعي يا سيدي ... وهناك ستة من رجالي يبحثون، وكلٌّ منهم وراء شخص ربما يكون هو من تبحثون عنه.

الصوت: إنني لا أريد أن أكرر أهمية أن يظلَّ الموضوع سرًّا ... لقد دفعنا لك بسخاء من أجل هذا.

كريم: بالطبع يا سيدي!

كان «بو عمير» يُراجع المكالمة على ما سطره وابتسم ... لقد استطاع رغم كل شيء أن يلتقط بعض الكلمات.

وكانت المكالمة الثانية بعد الأولى بفترة قصيرة ... وكان شخص آخر واضح من لهجته أنه لبناني يتحدَّث إلى «كريم».

قال الرجل: أستاذ «كريم»!

كريم: حمدي، لماذا تأخرت هكذا؟

حمدي: كنت أحاول الحصول على معلومات عن ماضي الرجل، ولكنه ما زال يَرفض.

كريم: يَرفض ... لماذا؟

حمدي: إنه غير مُقتنع بالأسباب التي تدعوني إلى هذا الطلب.

كريم: إنك شخصٌ فاشل ... ولا أريد أن أسمع أعذارًا، لا بد أن تحصل على المعلومات خلال اليومَين القادمين ... حتى لو اضطُررت إلى ضربه.

وسمع الثلاثة صوت سماعة التليفون تُوضع بعنف ... ومضت فترة أخرى ثم سمعوا صوت جرس التليفون وصوت «كريم» يرد: هالو.

صوت امرأة: نجلاء.

كريم: أين كنت ... كان الرجل يُريد أن يراكِ قبل سفره؟!

نجلاء: ألن يعود؟

كريم: سيعود ... ولكن هذا متوقف على جهودنا ... بمجرد أن نحصل على معلومات مؤكدة.

نجلاء: أعتقد أنني حصلت على معلومات لا بأس بها من الرجل، وربما كان هو من تبحث عنه رغم أنه يُراوغ.

كريم: عظيم ... تعالي فورًا ... سأنتظركِ!

ودار الشريط حتى انتهى ... ولم تعد هناك مكالمات ... وقال «بو عمير»: الأحاديث كلها تدور حول الشخص الذي قال رقم «صفر» إنَّ الرجال الثلاثة يبحثون عنه.

أحمد: تمامًا ... وقد حصلت على نسخة من عناوين الرجال الذين يحاول رجال «كريم» الحصول على معلومات منهم أو عنهم.

بو عمير: من الملف؟

أحمد: نعم ... من الملف الذي قرأته في مكتب «كريم» ومكتوب عليه حرفين باللغة الإنجليزية. وربما الفرنسية وهما «م. س» ولا أدري ماذا يعنيان.

ابتسم «عثمان» وقال: إن العملية أكبر من تصورنا. إنها ليست عملية للتسلية ولا للمران إنها عملية خطيرة!

البحث عن الستة

في الصباح جلس الشياطين الستة في قاعة الاجتماعات ... وأمامهم ملف تقارير العملية «تسالي»، كما أطلقوا عليها من باب التسلية ... ووضع «أحمد» الورقة الصغيرة التي كتبها، ثم قال: سأُلخِّص لكم مرةً أخرى تقارير رقم «صفر» عن عملية «تسالي» كما سمَّيناها ... ثم أشرح لكم ماذا تعني الورقة التي حصلت عليها من مكتب «كريم». فقد تابعت العملية مع «عثمان» و«إلهام» و«بو عمير» فقط، وأعتقد أنها تحتاج إلى جهودنا جميعًا.

وأمسك «أحمد» الملف وأخذ يلخص بسرعة: تُوفِّي بحار مجهول الشخصية في بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية بعد أن ظل ثلاثين عامًا متصلة فاقدَ الذاكرة، ودون أن يتعرف عليه أحد. بعد وفاته ونشر صورته بهذه المناسبة ظهر شخص يُدعى «هنتر سميث» وطلب استلام جثمان الميت. ولكن لم يكن ما أبداه من أسباب كافيًا، فرُفض طلبه. وحاول هذا الشخص أو أحد أعوانه سرقة الجثمان ... ولم يستطع. وصل هذا الشخص إلى ألمانيا مُتسميًا باسم «هانز شميدث»، ثم ظهر في بيروت ومعه رجلان آخران.

طلب منا رقم «صفر» متابعته ... اتضح أنه يتعامل مع مكتب علاقات عامة يملكه شخص يُدعى «كريم» ... وقد زار «بو عمير» و«سرور» مكتب «كريم» ووضعا جهاز تسجيل للاستماع إلى مكالماته ... وقد أعدنا هذا الجهاز بعد مغامرة بسيطة ... ومنه يتضح أن «هانز» يطلب من «كريم» البحث عن شخص معين ... وأن «كريم» يُجنِّد عددًا من موظفيه لهذا الغرض.

سكت «أحمد» لحظات ثم مضى يقول: طلب منا رقم «صفر» إيقاف العملية بعد أن سافر الرجال الثلاثة إلى باريس ... وقد كان رقم «صفر» يعتبر العملية من البداية مجرَّد مران أو تسلية ... ولهذا سميناها عملية «تسالي».

وتنفس «أحمد» بعمق ثم قال: ولكن عندنا من الأسباب كما يتضح من أحاديث «كريم» التليفونية أن «هانز» سيعود. وأن وراء العملية شيئًا هامًّا يستحق أن نستمر من أجله في متابعة مجهودنا.

أمسك «أحمد» بالورقة التي أخذها من مكتب «كريم» ثم بدأ يقول: في هذه الورقة ستة عناوين لأشخاص يقوم «كريم» بالتحرِّي عنهم، ومناقشتهم لا ندري في أي شيء. وقد شطب «كريم» اسمَين بالقلم الأحمر دليلٌ على أنهما مستبعدان من التحري ... أقصد أنه تحرى عنهما ولم يعثر عندهما على المعلومات المطلوبة ... ولكن هذا لن يمنعنا من التحدث إليهما ... حتى نعرف على الأقل ماذا يُريد «كريم».

وأمسك «أحمد» بقلمه وقال: سأُملي الأسماء والعناوين ... وعلى كل واحد منكم أن يأخذ اسمًا وعنوانًا واحدًا ... وسنبحث بعد ذلك كيف نقدم أنفسنا لهؤلاء الأشخاص.

أملى «أحمد» كل واحد من الشياطين اسمًا وعنوانًا ... ثم وضع القلم وقال: والآن ما هي اقتراحاتكم حتى نقدم أنفسنا إلى هؤلاء الستة؟!

ساد صمت قصير ثم قالت «إلهام»: أعتقد أن أحسن صفة هي صفة الصحفي، ولنتَّفق على موضوعٍ ما ... أو عدة موضوعات ونذهب للمناقشة على أساسه، ثم أثناء الحديث يمكن استدراج المتحدث لنحصل منه على المعلومات اللازمة.

عثمان: رأي معقول جدًّا!

وهز بقية الشياطين رءوسهم علامة الموافقة ... وقالت «زبيدة»: سأقول لـ «سرور» أن يجهز لنا بطاقات صحفية. فقد نتعرَّض لمشكلة إذا ثبت أننا لسنا صحفيين.

أحمد: معقول جدًّا ... الساعة الآن التاسعة. سنَعقد اجتماعًا آخر في السادسة من مساء اليوم لنرى ماذا تمَّ.

كان العنوان الذي حصلت عليه «زبيدة» باسم «جوزيف سليم» ... ويسكن في فيلَّا بالجبل قرب خلدة على ساحل البحر جنوبي بيروت ... فاختارت إحدى السيارات الجديدة التي زوَّدها بهم رقم «صفر» والتي تتجاوز سرعتها ٢٥٠ ميلًا في الساعة ... وبعد أن أخذت بطاقتها الصحفية انطلقت مسرعةً إلى المكان، وفي حقيبتها مسدس صغير سريع الطلقات.

بعد حوالي ساعة ونصف كانت توقف سيارتها قريبًا من الفيلَّا القديمة. ونظرت في المرآة مرة أخرى فقد صفَّفت شعرها بطريقة خاصة، ووضعت نظارة ملونة على عينيها ... وحملت نوتة وقلمًا لتبدو في مظهر الصحفية ... وكان الموضوع الذي اختارته للحديث

مع الرجل فيه هو كيفية الاستفادة من شاطئ البحر في المنطقة لإقامة سلسلة من أكشاك التصييف ... وقد أعدَّت في ذهنها عددًا من الأسئلة البسيطة، والتي يُمكن عن طريقها الوصول إلى أكبر قدر من المعلومات عن الرجل.

دقَّت الجرس فسمعَت نباح كلب قوي خلف الباب ... وانتظرت فترة ثمَّ سمعت صوت أقدام مُتثاقلة تَقترِب. وفُتحَت كوَّة صغيرة وأطلَّ وجه سيدة عجوز على رأسها هالة من الشعر الأبيض. وقالت السيدة: أهلًا ... هل هناك خدمة أؤدِّيها لك؟

زبيدة: هل هذا منزل الأستاذ «جوزيف سليم»؟

السيدة: نعم يا بُنيتي ... هل هناك شيء؟

زبيدة: خدمة بسيطة جدًّا ... إنني صحفية، أقوم بعمل تحقيق عن الساحل في هذه المنطقة ... وأريد رأي الأستاذ في الموضوع.

بدا التردُّد قليلًا على وجه السيدة العجوز، ولكنه في النهاية فتحت الباب وهي تَصيح بالكلب: ابتعد يا كوكو!

أخذ الكلب يزُوم و«زبيدة» تخطو داخل الفيلَّا الأنيقة. وسبقتها السيدة إلى قاعة هادئة تطلُّ على البحر. وقالت السيدة: تفضلي حتى أخبر «جوزيف» ... إنه مُتعَب قليلًا ... فأرجو أن يوافق على مقابلتك.

شملت «زبيدة» المكان بنظرة فاحصة ... كان الأثاث قديمًا ولكنَّه ثمين ... وكل شيء يدلُّ على أسرة على قدر من الثراء والذوق الفني ... ولاحظت أن هناك لوحات كثيرة كلها بريشة واحدة ... وفكرت أنها من رسم صاحب الدار أو زوجته.

بعد فترة طويلة ظهرت السيدة تَحمل بعض المشروبات الباردة ... وقالت: سيأتي «جوزيف» بعد لحظات ... إنه يرتدي ثيابه.

أحست «زبيدة» بألفة مع السيدة العجوز فابتسمت قائلة: هل ما زال الأستاذ «جوزيف» يرسم؟

ابتسمت السيدة مندهشة وقالت: هل تعرفين أنه رسَّام؟

أشارت «زبيدة» إلى اللوحات وقالت: إنه رسَّام ممتاز ... وقد فكرت أنك أنت الرسامة، ولكن الموضوعات والخطوط والألوان تليق برجل أكثر.

السيدة: إنك ذكية جدًّا يا بنيتي!

وفي هذه اللحظة ظهر «جوزيف» عند السلم الداخلي للفيلا نازلًا. ولاحظت «زبيدة» على الفور أنه يبدو قلقًا، وأنه ينظر إليها كأنما يَنتظِر شخصًا يعرفه.

اقترب في خطوات بطيئة ... كان طويل القامة شديد النحافة ... ووجهه أشبه بنسر عجوز ... ومد لـ «زبيدة» يده في تحية فاترة ثم جلس ... وقالت «زبيدة» على الفور: آسفون جدًّا لإزعاجك!

قال «جوزيف» بصوت عميق متقطِّع: أنت صحفية؟

زبيدة: نعم ... وهذه هي بطاقتي.

أمسك الرجل بالبطاقة وأخرج نظارة عتيقة من جيبه وأخذ يفحصها، ولم تحسَّ «زبيدة» بأيِّ اضطراب ... فقد كانت تعلم أن «سرور» يجيد عمله ... ورد «جوزيف» لها البطاقة وتنهد ... وبدا أكثر إقبالًا عليها ... وقالت له على المهمة التي قَدمَت من أجلها.

فكر الرجل لحظات ونظر عبر زجاج الصالة إلى البحر الممتد ... ثم قال: بالنسبة لي ... ولأكن صريحًا معك ... فإنني أود ألا تقام أية مشروعات جديدة في هذا المكان ... فمعنى ذلك أن يفقد طابع الهدوء الذي اشتهر به.

قالت «زبيدة»: ولكن المصلحة العامة تقتضي ذلك ... فبيروت أصبحت مدينة مزدحمة ... والشواطئ لا تتسع للناس ... ولا بد من مدِّ العمران شمالًا وجنوبًا ...

قال الرجل: وهو يُخرج غليونًا قديمًا من جيبه ويشعله بيد ثابتة: لقد قضيتُ في هذا المكان ثلاثين عامًا من حياتي ... وأودُّ أن يظلَّ كما هو.

عندما سمعت «زبيدة» كلمة ثلاثين تذكرت على الفور البحَّار الذي مات في مستشفى بوسطن وسألت نفسها: هل يعني هذا شيئًا. إن ذلك البحَّار المجهول قضى ثلاثين عامًا فاقد الذاكرة ... وهذا الرجل قضى في هذا المكان ثلاثين عامًا، فهل يعني هذا شيئًا؟

وأسرعت تقول: وقبل ذلك أين كنت تعيش؟

تبادل الرجل وزوجته النظرات وقال: في دمشق؛ فأنا من أصل سوري.

زبيدة: وماذا كنت تعمل؟

جذب الرجل نفسًا عميقًا من غليونه وقال: في تجارة أدوات الرسم.

وأدارت «زبيدة» وجهها إلى اللوحات وقالت: إنك رسَّام ممتاز! ألم تَعُد ترسم؟

رد الرجل: لا. لقد أصبحت يداي مرتعشتَين. والرسَّام كالجراح لا بد أن تكون يده ثابتة.

وقالت «زبيدة»: وما هي ذكرياتك في هذا المكان الجميل؟

قال الرجل وهو يسبل جفنيه: شيء عجيب هذا الاهتمام بذكرياتي. لقد حضر شخص من قبل وسألني نفس السؤال.

ولاحظت «زبيدة» أنه لا يريد أن يتحدَّث عن ذكرياته فعادت إلى الموضوع الذي حضرت من أجله وأخذا يتحدثان ... ثم سألت زوجته عن نفس الموضوع. وأخذت تتظاهَر بأنها تكتب بعض النقاط عن الموضوع ثم قالت فجأة: هل لكما أقارب في أمريكا؟

كان السؤال من وحي خاطرها لم تُعدَّ له. ولكن ما أحدثه من أثر في الزوجين كان أكثر مما توقعت ... فقد بدا كأن قنبلة انفجرت في المكان ... ولكن الرجل أجاب بحزم: لا. ليس لنا أقارب الآن في أي مكان.

وشكرت «زبيدة» الزوجين قائلة: قد أضطرُّ لزيارة أخرى لكما في وقت آخر.

أشياء كثيرة ... غير منظمة

عندما اجتمع الشياطين الستة في المساء ... كان أربعة منهم قد نجحوا في مقابلة من ذهبوا للقائه. واثنان لم يَجدا الشخص المطلوب. وأخذ كل منهم يُقدِّم تقريره. وقالت «هدى» و«بو عمير» و«عثمان» إنَّ الأشخاص الذين تحدَّثوا إليهم رووا ذكرياتهم كلها. وليس بينهم من يُمكن الشك في أمره ... أما «زبيدة» ... فكانت تَحمل أهمَّ تقرير. هذا الرجل الذي رفض الحديث عن ذكرياته. وكان أهم ما في تقرير «زبيدة» ملاحظاتها عن الرجل وزوجتِه ... وتذكَّر «بو عمير» شريط التسجيل وقال: ففي شريط التسجيل الثاني هناك حديث عن رجل رفض التحدُّث عن ماضيه ... ربما كان هو نفس الرجل التي ذهبت إليه «زبيدة».

أحمد: على كل حال سنَنتظِر حتى ألتقي أنا و«عثمان» غدًا بالرجلين الباقيين، ثم نضع خطتنا. وفي ذلك الوقت أرجو أن تُرسل «إلهام» تقريرًا إلى رقم «صفر» بكل المعلومات التي حصلنا عليها.

بو عمير: إنني أتذكَّر اهتمام «كريم» بالمعلومات التي يَجمعها أعوانه إلى حدِّ أنه أمر أحدهم بأن يضرب الرجل إذا لم يُدلِ بأقواله، أليس من الأفضل فرض رقابة على هؤلاء الستة، لنرى ماذا سيفعل «كريم»؟

فكَّر الشياطين في هذا الاقتراح ... وفي هذه اللحظة صدرت صفارة اللاسلكي المتقطِّعة وأضيئت في نفس الوقت اللمبة الحمراء في قاعة الاجتماع، وأسرعت «زبيدة» إلى قاعة اللاسلكي وغابت فترة ناقشَ فيها الشياطين اقتراح «بو عمير». واتفقوا على الانتظار حتى الغد حتى تتجمَّع لهم المعلومات عن الرجال الستة الذين يُحاول «كريم» الحصول على معلومات منهم ... ثم ظهرت «زبيدة» تَحمل تقرير «رقم صفر» ... وبدأت تقرأ:

من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»

«هنتر سميث» أو «هانز شميدت» ألماني له اسم ثالث هو «فالتر شميدت».
كان يعمل في الأميرالية الألمانية برتبة كابتن بحري تحت رئاسة الأميرال «كارل

ستروهيم». وقد تخصَّص «فالتر» في حرب الغواصات وكان ضمن المسئولين عن حرب الغواصات في المحيط الأطلسي ... وقد أسر قرب نهاية الحرب العالَمية الثانية ... وبقيَ في المُعتقَل خمسة أعوام. وبعد الحرب اشتغل في البحرية التجارية، وعن طريق التهريب حقق ثروة ضخمة مكَّنته من امتلاك أسطول للنقل البحري ... وأصبح يعيش مُتنقلًا في مُختلف الموانئ. وقد قام أثناء الأعوام الأخيرة بعدة زيارات لموانئ مختلفة في أفريقيا وآسيا، وأمريكا الجنوبية ... وفي كل مرة كان يبقى شهرًا أو أكثر في البحث عن شخص مجهول ... ويبدو أنه جاء إلى بيروت للبحث عن نفس الشخص ... وقد علمنا من مصادرنا في باريس أنه يَبني سفينة ذات مواصفات خاصة.

سكتَت «زبيدة» لحظات ثم قرأت: أردت أن أرسل لكم هذه المعلومات لوضعها في الأرشيف فقط. فليس هناك ما يُهمنا في موضوعه.

قالت «زبيدة»: انتهى التقرير.

أسرع «أحمد» يقول: لقد تأخَّرنا في إرسال تقريرنا إلى رقم «صفر» فإن المعلومات التي لدينا تطابق معلوماته. ولكننا نَعرف أن «هنتر» أو «هانز» أو «فالتر» سيعود إلى بيروت مرة أخرى كما سمعنا في التسجيلات ... وأرجو أن تقوم «إلهام» فورًا بإرسال تقرير بمعلوماتنا كاملة إلى رقم «صفر» وتطلب منه الإذن لنا بالاستمرار في العمل للكشف عن ما يبحث عنه «هانز». فما دام قد وصل إلى بيروت، وما دام يقوم بنشاط غير مشروع فهو ضمن اختصاصنا.

قامت «إلهام» مسرعةً إلى صالة التقارير، بينما انفضَّ الاجتماع إلى وقتٍ آخر في الغد.

في صباح اليوم التالي اتَّصل «كريم» برقم تليفون قسم الأجهزة الإلكترونية في المقر السري وطلب الحديث إلى «سرور» ... وأسرع «سرور» بتلقِّي المكالمة، وقال «كريم»: لقد عثرت لكم على مكانٍ مُمتاز لافتتاح فرع لشركتكم.

سرور: وأين هذا المكان؟

كريم: في سلطنة عمان. فالحكومة هناك مهتمة بإدخال أحدث الآلات في دواوين الحكومة. كما أن عددًا كبيرًا من الشركات لديهم طلبات كثيرة لشراء الآلات الحاسبة الإلكترونية وغيرها من الأدوات الحسابية. وقد عثرتُ على مبنًى محترم بإيجار معقول.

سرور: شكرًا جزيلًا يا أستاذ «كريم» ... سأبحث الأمر مع الشركاء هنا، وسوف أتصل بك خلال ساعة على الأكثر.

أسرع «سرور» إلى حيث كان الشياطين يتناولون إفطارهم، وأخطرهم بحديث «كريم». وسرعان ما انتهوا من إفطارهم ... وجلسوا يتناولون الشاي في قاعة الاجتماعات.

ثار جدل طويل بين الشياطين حول قبول عرض «كريم» ... بعض الشياطين وجدوا أن لا فائدة من الاستمرار في موضوع المقر ... وبعضهم رأى أنها فرصة للاقتراب من «كريم» أكثر ومعرفة أسراره.

ورفع «أحمد» يده وطلب أخذ الأصوات. وكانت الأغلبية مع فكرة مسايرة «كريم» إلى حد السفر إلى عمان. وأشار «أحمد» إلى «سرور» بما وافقت عليه الأغلبية. وأسرع «سرور» يتصل بـ «كريم» وحدد موعدًا للقائه بعد نصف ساعة مع «بو عمير».

عندما وصل «سرور» و«بو عمير» إلى مكتب «كريم» استقبلهما أروع استقبال، وابتسم «بو عمير» مجاملًا، ولكن في الحقيقة كان يبتسم لأن «كريم» لم يكن يتصور أن زائر الليل الذي ضربه على رأسه كان هو «بو عمير» نفسه. وزادت ابتسامته اتساعًا عندما لاحظ أن «كريم» يضع شريطًا لاصقًا على صلعته اللامعة ... على أثر الضربة القاسية التي تلقاها من «بو عمير».

وزيادة في السخرية قال «بو عمير» مشيرًا إلى رأس «كريم»: ماذا حدث يا أستاذ «كريم»؟

قال «كريم» وهو يهزُّ رأسه بأسف: كنتُ أمر بجوار عمارة تحت الإنشاء وسقطت على رأسي قطعة من الطوب كادت تقضي عليَّ.

وجلس الثلاثة، وقال «كريم»: أؤكِّد لكما أنها فرصة ذهبية. دور كامل من خمس غرف يُطلُّ على الخليج، وستدفعان نحو ثمانية آلاف ليرة لبنانية كمُقدَّم ... والإيجار نحو ٤٠٠ ليرة شهريًّا فقط!

سرور: إنه عرض طيب حقًّا.

كريم: إنني مسافر الليلة إلى هناك، وأود أن يصحبني أحدكما ... فمن الأفضل إلقاء نظرة على المكان.

فكَّر «بو عمير» بسرعة، وقال في نفسه إنهم ما داموا قد اتفقوا على مسايرة «كريم» فلا بأس برحلة إلى عُمان ... مكان جديد بالنسبة للشياطين ... ومتابعة نشاط «كريم» في هذه الأمكنة لعلهم يكشفون عن حقيقة هذا الذي يجري في الخفاء.

قال «بو عمير»: سأسافر معك؟

كريم: عظيم جدًّا ... الطائرة في الحادية عشرة ليلًا. هل تحب أن أنتظرك في المكتب هنا في التاسعة وأحجز أنا تذكرة لك؟

بو عمير: اتفقنا.

وغادر «بو عمير» وسرور مكتب «كريم» بعد أن أوصلهما إلى الباب، وما كاد الباب يغلق خلفهما حتى أطلق «بو عمير» ضحكة حبسها طويلًا. وبالطبع كان «سرور» يعرف سبب ضحكه. فإن الطوبة التي زعم «كريم» أنها سقطت على راسه لم تكن إلا مسدس «بو عمير» شخصيًّا.

وعندما عادا إلى مقر الشياطين، كان «أحمد» قد التقى بالرجل الخامس. وكان «عثمان» قد التقى بالرجل السادس، وكان تقرير كلٍّ منهما عن اللقاء لا يحمل جديدًا. وتقرَّر سفر «بو عمير» مع «كريم» على أن تقوم «زبيدة» و«عثمان» بمراقبة فيلَّا «جوزيف سليم» ... ومتابعة ما يحدث فيها.

وفي السابعة مساءً، كان «عثمان» و«زبيدة» في طريقهما إلى فيلَّا «جوزيف» قرب خلدة على شاطئ البحر ... وفي الثامنة والنصف كان «سرور» يقود السيارة تحمل «بو عمير» إلى مكتب «كريم» ... بعد أن اتفق «بو عمير» على شفرة معيَّنة يتحدث بها إلى الشياطين إذا وقع على معلومات جديدة.

وصلت «زبيدة» و«عثمان» إلى قرب الفيلَّا ... ولاحظا على الفور أنها مُظلمة. وكان الوقت مبكرًا، ولا يمكن أن يكون «جوزيف» وزوجته قد ناما ... واقترب «عثمان» و«زبيدة» من الفيلَّا على حذر ... كانت الريح تهبُّ من ناحية البحر. وكان في الإمكان الاستماع إلى أي صوت يصدر من الفيلَّا ... وهكذا ظلا يقتربان حتى وضع «عثمان» أذنه على باب الفيلَّا دون أن يسمعا أي صوت ... وبدت الريبة تداخل الشياطين. وقرر «عثمان» اقتحام الفيلَّا ومعرفة ما يحدث بداخلها.

قالت «زبيدة» هامسة: لا تنس أن هناك كلبًا ضخمًا في الداخل.

قال «عثمان»: أظن أنه لا أحد في الداخل على الإطلاق ... لا كلب ولا إنسان. فالفيلَّا صامتة صمت القبور.

وأخرج «عثمان» من جيبه الخلفي محفظة صغيرة بها كل الأدوات الدقيقة التي تفتح أي شيء مُقفل ... وبدأ يعالج إحدى النوافذ. وفي دقائق قليلة كان قد فتحها، ثم شهر مسدسه، ودخل ... ووقفت «زبيدة» في الخارج للمراقبة.

غاب «عثمان» فترة في الداخل ... ثم عاد لاهث الأنفاس، وقال: لا أحد في الداخل مطلقًا ...

زبيدة: ولا الكلب؟!

عثمان: ولا الكلب!

زبيدة: هل يعني هذا أن «جوزيف» وزوجته قد هرَبا؟

قال «عثمان»: أو خُطفا!

زبيدة: شيء مذهل ... إن الأحداث تتوالى بسرعة ... والآن ماذا نفعل؟

عثمان: لا شيء إلا العودة سريعًا إلى المقر وإخطار الشياطين بما حدث.

وهكذا استقلَّا السيارة وانطلقا عائدَين ... كانت الساعة العاشرة تقريبًا عندما وصلا إلى المقر السري ... ولم يكد «أحمد» يسمع ما حدث حتى قال: لقد بدأت مرحلة العنف في هذه المغامَرة الهادئة ... وبسرعة قفز يلبس ثيابه وقال: إنني مسافر.

زبيدة: إلى أين؟

أحمد: إلى عمان ... عسى أن ألحق بالطائرة.

زبيدة: ولكن «كريم» يَعرفك!

أحمد: لن يعرفني بعد وضع شارب مُناسب، وباروكة شعر، ونظارة سوداء ...

إلهام: ولكن لماذا تسافر؟ إن الأحداث تقع هنا؟!

أحمد: لقد انتقلت الأحداث من هنا ... وقلبي يُحدثني أن رحلة «كريم» المفاجئة إلى عمان ومعه «بو عمير» ليس لها علاقة بالأجهزة الإلكترونية ولا غيرها، إن «كريم» أذكى مما تصوَّرنا.

وبعد لحظات كان «أحمد» يقفز في سيارة يقودها «عثمان» ... ويأخذان طريقهما إلى المطار.

وقال «عثمان» فجأة: إنك لم تحجز تذكرة!

قال «أحمد» مبتسمًا: لقد حجزت تذكرة منذ اتَّفق «كريم» مع «بو عمير» على السفر. فهذه المسألة لا يمكن أن تمرَّ ببساطة.

عثمان: شيء مُدهش!

أحمد: المدهش أكثر أن أجد «بو عمير» في الطائرة.

عثمان: لا أفهم ما تقصد.

أحمد: سوف ترى.

قفز «أحمد» من السيارة، وأسرع يقدم أوراقه وتذكرتَه إلى رجال جمرك المطار. وقبل إقلاع الطائرة بدقائق قليلة كان يقفز إليها مسرعًا.

وقبل أن يفكر في أي شيء كانت الطائرة قد أغلقت أبوابها، ودارت المحركات وانطلقت في الجو تحمله إلى عُمان ... وقام يطوف بالطائرة ناظرًا إلى الركاب ... وتحقَّق ظنُّه ... فلم يكن بين ركابها «بو عمير» ولا «كريم».

كيف ينتهي الصراع؟

في نفس الوقت الذي كانت فيه الطائرة تحمل «أحمد» في طريقها إلى سلطنة عمان في أقصى جنوب الجزيرة العربية، كان «بو عمير» يَركب طائرة أخرى ... ولكن في ظروف مختلفة تمامًا ... فتح عينَيه فأحسَّ بألم هائل في رأسه ... ولم يستطع حتى أن يمدَّ يدَه ليتحسَّس مكان الألم ... فقد كان موثق اليدين ... وملقًى على أرض الطائرة ... وسمع حوارًا يدور بين اثنين بجواره فلم يَفتح عينَيه وظلَّ يُنصِت ... ولكن الرجلان كفا عن الكلام.

وتذكر «بو عمير» ما حدث له ... ذهب إلى مكتب «كريم» في التاسعة كما اتفقا ليركبا طائرة الحادية عشرة ... واستقبله «كريم» بالترحاب وقضى بعض الوقت يصرف شئون مكتبه ثم اصطحبه ونزل إلى المطار ... وهناك قال له إنه لم يجد تذاكر على الطائرة إلى عُمان ... ولكنه حل المشكلة ... فقد وجد طائرة خاصَّة مسافرة في نفس الاتجاه، عليها بعض عملائه من الأجانب. ولم يُمانع أصحاب الطائرة في اصطحابه و«بو عمير» إلى عُمان.

وتذكَّر «بو عمير» أنه شك في المسألة ... ولكن سلوك «كريم» الودي معه ... وإحساس المغامرة دفعاه إلى قبول ركوب الطائرة، ولكن لم يكد يمرُّ بباب الطائرة حتى هوت على رأسه ضربة قاسية سقط على أثرها مُغمًى عليه ... وها هو الآن مُلقًى على أرض الطائرة لا يعرف ماذا ستأتي به الساعات المُقبلة.

مضت فترة من الوقت ... وقرر أن يفتح عينَيه ويواجه الموقف. وشاهد على الفور حذاءً أمام وجهه مباشرةً ... حذاءً أسودَ ضخمًا ... وجوربًا رماديًّا ... وساقين مغطاتَين بشعر أصفر غزير ... وقال في نفسه ... إنهما ليسا ساقَي «كريم» ... إنهما لشخص أطول من «كريم» وأكثر قوة. وتحرَّك حتى استلقى على ظهره ... وشاهد صاحب الساقين ... وتذكَّر وصف الرجال الثلاثة الذين شاهدهم «أحمد» في فندق فينيسيا ... ولم يشكَّ أن الرجل واحد منهم. كانت له سحنة المجرم المحترف.

والتقت عيناه بعينَي الرجل ... ولاحظ فيهما نظرة باردة ... وسمع الرجل يُنادي «كريم» ... وأقبل «كريم» بعد لحظات يتدحرج بين الكراسي بكرشه الضخم وبذلته البيضاء ... ابتسم «كريم» ابتسامة صفراء وقال: لعلكَ قضيت وقتًا طيبًا؟

لم يردَّ «بو عمير» فعاد «كريم» يقول: لقد شئتُ أن أُحييكَ بنفس الطريقة ... فما زال أثرُ تحيتِك على رأسي. وتحسَّس «كريم» أثر ضربة «بو عمير» التي كان يضع عليها شريطًا لاصقًا ثم مضى يقول: لقد كنتَ تَبتسم كثيرًا في مكتبي ... وكنتُ أعرف لماذا تبتسم ... وقد جاء دوري لأضحك أنا أيضًا. ولعلك تعرف أن مَن يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا.

ظل وجه «بو عمير» جامدًا ... كان يُريد أن يعرف كيف كشف «كريم» حقيقته. هل رآه في تلك الليلة التي دخل فيها مكتبه ... مُستحيل ... لقد كان «بو عمير» مختفيًا في دورة المياه وكان «كريم» يوليه ظهره عندما ضربه «بو عمير» على رأسه.

ولعل «كريم» أدرك ما يفكر فيه «بو عمير» فقال: لقد نسيتَ أنت وزميلك أثناء زيارتكما مكتبي ليلًا أنني لستُ رجلًا مغفلًا ... فقد كانت أجهزة التسجيل التي تعمل في مكتبي ليل نهار تسجل حديثكما.

وأحسَّ «بو عمير» بضيق شديد. لقد كان هو و«أحمد» يتحدَّثان بصوت مُرتفِع ... واستطاعت أجهزة التسجيل أن تكشف شخصيته ... بل تكشف تدخُّلهم في هذه المغامرة العجيبة التي لا يعرفان حتى الآن ما هي حقيقتها.

وقال «كريم»: والآن، أريد أن تقول لي ماذا تعرفون عن موضوع الستة.

لم يردَّ «بو عمير» فعاد «كريم» يقول بحدة: لقد أخذتم من مكتبي كشفًا بأسماء ستة أشخاص قضيت وقتًا طويلًا في البحث عنهم. فماذا تعرفون عنهم؟

مرةً أخرى ظل «بو عمير» صامتًا. وتبادل «كريم» مع الرجل الضخم كلمات ثم غادر مكانه عائدًا إلى أول الطائرة.

أخذ «بو عمير» يُحاول معرفة الوقت. لقد ركب الطائرة في العاشرة مساءً ... فما هي الساعة الآن؟ وأخذ يتقلَّب محاولًا النظر إلى ساعة الرجل الضخم الذي كان يَحرسه. واستطاع أن يعرف أنها الثانية بعد منتصف الليل. إذن فقد مضت أربع ساعات منذ كان في مطار بيروت ... ولعلهم الآن قد تجاوَزُوا الكويت ... ولا بد أن الطائرة نزلت في الكويت ثم أقلعت. وفجأة خطر له خاطر مخيف. ماذا لو كانت الطائرة ليست مسافرة إلى عُمان أصلًا؟ أن تكون في طريقها إلى دولة أخرى حيث لا سبيل للاتصال بأحد ... إنَّ هذا يعني نهايته!

بعد لحظات جاء «كريم» ومعه رجل آخر. أدرك «بو عمير» على الفور أنه الزعيم؛ فقد كان يرتدي ملابس البحارة، نفس الوصف الذي يَعرفه. وأشار الزعيم إلى الحارس فأسرع هذا يفكُّ وثاق «بو عمير» ... ثم جاءوا له بكوب من العصير شربه عن آخره. فقد كان في غاية العطش.

قال الزعيم: أنت أسيرنا الآن. وقد قال لي «كريم» أنك تعرف شيئًا عن عملنا، وأودُّ أن تتصرف كرجل وتقول لنا ما تعرف. وإلا ...

وأحس «بو عمير» بالدم يغلي في عروقه ... يتصرف كرجل! وهل هو طفل؟! وأدار بصره في الوجوه المحيطة به، ثم تجاوَزها إلى الرجل الذي كان يجلس في مقعد قريب ... رجل عجوز يُشبه النسر. وتذكر وصف «زبيدة» للرجل الذي يَسكُن الفيلَّا قرب خلدة ... إنه هو ... إذن فقد ضربت عصابة «هانز» كل العصافير. واعترف بينه وبين نفسِه أنهم أدَّوا عملهم جيدًا ...

عاد «هانز» يُحدِّثه ... وظل «بو عمير» صامتًا ... كان يعرف مدى حرج موقفه ... إنه الآن ليس فقط بين أعدائه بلا أمل في أية مساعدة ... ولكن فوق السحاب ... حيث يُمكن القضاء عليه دون أي خوف. ولكنه بالطبع لم يفكر لحظة واحدة أن يعترف. فليس بين الشياطين الـ «١٣» من يمكن أن يضعف أمام أي تهديد!

عاد ينظر إلى الرجل الذي يُشبه النسر وتذكر اسمه، «جوزيف سليم»، الرجل الذي يرفض الحديث عن ذكرياته ... عن ماضيه. وفي هذه الذكريات وهذا الماضي تكمن الحقيقة التي ودَّ «بو عمير» أن يعرفها بأي ثمن ... حتى ليعرف ما الذي أتى به إلى هذا المكان ... فوق السحاب.

عاد «هانز» يقول: ماذا كنتَ تفعل في مكتب «كريم» ... ولماذا الاهتمام بأسماء الرجال الستة؟!

ومرةً ثالثة لم يردَّ «بو عمير».

مال عليه «هانز» وقال: اسمع يا بني، إننا نَطير الآن فوق الخليج. فإذا لم تتحدث خلال نصف ساعة، فسوف أُلقِي بك في البحر!

ومضى «هانز» وترك «بو عمير» يفكر. في إمكانهم طبعًا أن يهبطوا بالطائرة إلى ارتفاع مُنخفِض ثم يُلقوا به إلى المياه، ولن يكون له أي أمل في النجاة.

وأخذ ينظر إلى ساقي الحارس ويُفكِر: هل يُمكن أن يقوم بعمل ما للسيطرة على الطائرة؟! إن عدد الركاب في الأغلب ستة ... الطيار ومساعده، زعيم العصابة «هانز»

ومساعداه، «كريم»، ويبقى «جوزيف». فهل يُمكن أن ينضمَّ إليه ... إنه رجل عجوز، ولكن آثار القوة ما زالت باديةً عليه.

وأخذ يتقلب ببطء شديد في مكانه وينظر إلى الحارس. كان ضخمًا كالثور ... وكان مسدسه الضخم يتدلى من حزامه ... لو استطاع أن ينقضَّ على ساقي الرجل ويجره فربما يسقط وربما استطاع أن يصل إلى المسدس قبله ... وبالمسدس يمكنه أن يسيطر على الطائرة.

ونظر إلى «جوزيف سليم» ... والتقت نظراتهما ... كانت نظرة طويلة كأنَّها حديث صامت بين صديقين ... وأحسَّ «بو عمير» من هذه النظرة أنه في إمكانه أن يعتمد على «جوزيف».

شد «بو عمير» عضلاته التي تيبسَّت من رقدته الطويلة على الأرض الصلبة. ورفع بصره في هدوء شديد إلى الحارس ... وأحسَّ بقلبه يخفق بشدة ... فقد كان الثور الضخم يُقاوم النعاس.

تحرك «بو عمير» أكثر ليرى بقية مَن في الطائرة ... ووجد «هانز» يجلس في المقدمة وبجواره «كريم» وخلفهما الحارس ... وكانوا جميعًا يُعطونه ظهورهم. واستجمع كل قوته ومدَّ ذراعيه بسرعة البرق ثم جذب ساقي الحارس بشدة فارتطم رأس الرجل بالمقعد، وقفز «بو عمير» على صدره وجذب المسدس، ووقف بينما سقط الحارس على الأرض عند قدميه.

كانت سقطة الحارس كافية لأن يقف الرجال الثلاثة ... فصاح «بو عمير»: سأُطلِق الرصاص عند أي حركة.

ودون أن ينظر إلى «جوزيف» قال له: جرِّدهم من أسلحتهم.

وقف الرجل العجوز بنشاط لم يتوقَّعه «بو عمير» ... وأسرع إلى الرجال الثلاثة وجرَّدَهم من مسدساتهم دون أن يُحاول أيٌّ منهم أن يفعل شيئًا.

قال «بو عمير»: ناوِلني مسدَّسين ... ضعهما بجانبي. وخذ المسدس الثالث، وادخل إلى كابينة القيادة، واستدعِ مساعد الطيار!

كان الرجال الثلاثة يَرمقُونه بعيونٍ يَتطاير منها الشرر، ولكن ما بدا في عينَي «بو عمير» كان كافيًا لأن يجعلهم يكتفون بالنظر دون مُحاولة للهجوم عليه.

بعد لحظات ظهر مساعد الطيار وخلفه «جوزيف» شاهرًا المسدس. وقال «بو عمير» موجهًا حديثه لمساعد الطيار: أين نحن الآن؟

ردَّ الرجل: على بُعد ساعة من عمان.

بو عمير: نحن إذن ذاهبون إلى عُمان حقًّا؟

الرجل: هذه هي وجهتنا من البداية.

بو عمير: أستاذ «جوزيف»، ادخل معه كابينة القيادة، وراقب ما يحدث ولا تتردَّد في إطلاق النار عند أول بادرة منه أو من الطيار ... حتى أتفاهم مع هؤلاء، ثم عُد بعد ربع ساعة لنرى ما سنفعل.

دخل الرجلان الكابينة وقال «بو عمير»: والآن يا سيد «هانز» ما هي الحكاية بالضبط؟

لم يردَّ «هانز» ... بل ظل يتأمل «بو عمير» لحظات ثم قال: اسمع يا بني ... إن فرصة نجاتك من هذا الموقف هي واحد في المليون ... فنحن نركب طائرة بحرية سوف تَنزل في مكانٍ مُعيَّن، وهناك من هم في انتظارنا.

بو عمير: دعك من هذا الكلام ... وقل لي ما هي الحكاية بالضبط فسوف أطلب من الطيار الهبوط في مطار عُمان.

هانز: اسمع ... إنني أعرض عليك مليون ليرة لبنانية لتتصرَّف بتعقُّل.

بو عمير: لعلَّني أقبل إذا قلت لي ما هي الحكاية بالضبط ... وعلى كل حالٍ فمِن المُمكن أن أسأل «جوزيف».

ضغط «هانز» على أسنانه ثم قال: وإذا لم أقل؟

بو عمير: ببساطة جدًّا سوف أُسلِّمك إلى الجهات المسئولة في عُمان وأُعرفهم ماضيك.

ابتسم «هانز» وقال: إنهم يعرفون عني ما يكفي لاستقبالي أعظم استقبال ... أما أنت فسوف لا يُصدقك أحد ... فإنني أتردد على هذه الأماكن منذ خمسة أعوام ... وكذلك «كريم» ...

بو عمير: إنك تعرض مبلغًا ضخمًا جدًّا ... فمن أين لك هذا كله؟

هانز: ليس مُهمًّا أن تعرف.

بو عمير: إنني مهتمٌّ أن أعرف أكثر من اهتمامي بالمبلغ الضخم الذي تعرضه.

ردَّ «هانز» في تصميم: لن أقول لك!

ثم جلس «هانز» ببساطة ووضع ساقًا على ساق، وأخذ «بو عمير» يفكر فيما قاله «هانز». ماذا يمكن أن يفعل الآن؟!

ومضت الدقائق بطيئة. وظهر «جوزيف» ومعه مساعد الطيار مرةً أخرى، وقال «بو عمير»: أستاذ «جوزيف» ... ما هي الحكاية بالضبط؟!

قال «جوزيف»: إذن أنت لا تعرف لماذا كل هذا؟

بو عمير: لا أعرف سوى أنَّ أمورًا غير قانونية تحدث ... وأنني يجب أن أتدخل من أجل العدالة.

أشار «جوزيف» إلى مساعد الطيار لينضمَّ إلى الثلاثة ... ثم اختار كرسيًّا جلس عليه وبدأ يروي القصة.

السر الخطير

قال «جوزيف»: قرب نهاية الحرب العالمية الثانية قرر عدد من زعماء النازي الهرب من ألمانيا بعد أن تحقَّقوا من هزيمتها. وفي الأميرالية الألمانية وهي قيادة القوات البحرية اتفق الأميرال على تهريب خمسة ملايين فرنك ذهب سويسري إلى أمريكا الجنوبية التي لجأ إليها بعد الحرب عدد من زعماء ألمانيا.

وسكت «جوزيف» لحظات ثم قال: ووضع هذا المبلغ في غواصة أبحرت في خط بحري متعرج لتَبتعِد عن أهداف الحلفاء ... ولم يكن في الغواصة مَن يعرف حقيقة شحنتها أو هدفها إلا ثلاثة ... القائد، وبحاران كنت أنا أحدهما.

دهش «بو عمير» وقال: أنت ألماني إذن؟

جوزيف: نعم ... وقد لجأت إلى لبنان منذ نهاية الحرب وعشت تحت اسم مستعار!

بو عمير: ثم ماذا حدث؟

جوزيف: عندما عبرت الغواصة المحيط الأطلسي جنوبًا كان المفروض أن تتجه غربًا ... ولكن حدث شيء غيَّر الخطة ... فقد اتفق الثلاثة الذين يعرفون السر على ألا تصل الغواصة إلى هدفها ... وبدلًا من الانحراف غربًا. انحرفوا بالغواصة شرقًا ناحية المحيط الهندي ... واجتمعنا نحن الثلاثة لنُقرِّر أين سنرسو بالغواصة ... ولكننا وجدنا أن جميع الموانئ في هذه المنطقة تقع تحت سيطرة الحلفاء ... أقصد أمريكا وإنجلترا وفرنسا ... وبقية الدول التي كانت تحارب ألمانيا، واتفقنا على خطة شيطانية.

وعاد «جوزيف» للصمت لحظات ثم مضى يقول: اتفقنا على نسف الغواصة قرب الساحل العربي بمن فيها بعد أن نُغادرها نحن!

صاح «هانز»: كلاب ... خنازير!

نظر إليه «جوزيف» وقال موجهًا حديثه إلى «بو عمير»: إنني نسيت أن أقدم لك السيد «هانز شميدت». لقد كان أحد المشتركين في تهريب الملايين الخمسة ... بل هو في الحقيقة صاحب فكرة إرسال الغواصة إلى أمريكا الجنوبية.

بدأ «بو عمير» يستمتع بالقصة الغريبة، وعاد «جوزيف» إلى قصته المدهشة: وكانت هناك عدة مشاكل ... أن نَنسف الغواصة قرب الشاطئ حتى يُمكن انتشال الكنز بعد ذلك ... وأن نضع خريطة لمكان الغواصة، فليس من السهل تحديد الأماكن في البحار ... وكان رسم خريطة على الورق فكرة خاطئة ... فمن المُمكن أن تبتل أو تضيع، أو يستولي عليها غيرنا ... وهكذا اتفقنا على رسم الخريطة بالوشم على أجسادنا نحن الثلاثة. وقد قام كلٌّ منَّا برسم جزء من الخريطة على جلد الآخر.

وتذكر «بو عمير» على الفور البحَّار الذي مات في مُستشفى بوسطن. البحَّار الذي فقد ذاكرته ثلاثين سنة متَّصلة ... وقال: ذلك البحَّار الذي مات في مستشفى بوسطن منذ نحو أسبوع هل له علاقة؟

قاطعه «جوزيف» قائلًا: بالطبع، إنه واحد من الثلاثة، وقد ظلَّ «هانز» بعد خروجه من المُعتقَل يبحث عنا نحن الثلاثة ... وقد استطاع الوصول ...

في هذه اللحظة، وقبل أن يكمل «جوزيف» جملته بدأت الطائرة تهتزُّ بشدة ... وبدأ الحاضرون جميعًا يفقدون توازنهم ... ودون أن يتنبَّه أحد كان الحارس الذي صرعه من قبل قد وقف خلفه ... وارتفعت صيحة تَحذير من «جوزيف» ... ولكن ذلك كان بعد فوات الأوان، فقد أحاط ذراعيه بـ «بو عمير» ليشلَّ حركته ... وانطلقت رصاصة من مسدس «بو عمير» رغمًا عنه ... أصابت جدار الطائرة ... واستجمع «بو عمير» قوته، وضرب الحارس بكوعَيه في بطنه ... وسمع الحارس يتأوه ... ومال «بو عمير» إلى الأمام وألقى بالرجل أرضًا ... ولكن الحارس الآخر كان قد قفز للاشتراك في الصراع ... بينما قفز مساعد الطيار على «جوزيف» الذي أطلق رصاصة عليه أصابته في كتفه ... ولكنه استطاع الالتحام به.

ومضى الصراع على أشده بين «بو عمير» والحارس من جهة، و«جوزيف» و«كريم» من ناحية أخرى، بينما كانت الطائرة تترنح ... وكان من الواضح أنها وقعت في مطب جوي عنيف وفقَدت توازنها تمامًا ... وبدأ الرجال جميعًا وبينهم «بو عمير» يتدحرجُون على الأرض دون أن يتمكن أيٌّ منهم من القضاء على الآخر ... وكان مساعد الطيار الجريح قد ترك المتصارِعين وأسرع إلى الكابينة ثم عاد بعد لحظات وقال: سنَهبط هبوطًا اضطراريًّا

في صحراء عُمان ... ولن نستطيع الذهاب إلى أبعد من ذلك ... أرجوكم اجلسوا في أماكنكم واربطوا الأحزمة؛ فنحن مُعرَّضون جميعًا للموت.

رغم الصراع المميت الدائر فإن كلمات مساعد الطيار أحدثت أثرها، وأسرع كل واحد من الموجودين إلى أقرب كرسي إليه وأخذ يحاول الجلوس، وكانت مهمة بالغة الصعوبة والطائرة تدور حول نفسها، وتَنقلب حتى يتساقط الرجال على أرضها كأنهم مجموعة من اللعب الصغيرة في يد طفل شقي.

استمرَّ ترنُّح الطائرة ... ولم يَعُد «بو عمير» يدري ماذا يُمكنه أن يفعل سوى أن يُحاول الجلوس، بينما ذهنه منصرف إلى ما يمكن أن يحدث إذا استطاع الطيار الهبوط بالطائرة سليمة ... وفي هذه اللحظة لمسَت الطائرة الأرض في صدمة شديدة طوحت بهم جميعًا في كل مكان. ثم ارتطمت بالأرض تمامًا ... ودارت حول نفسها ومالت على أحد جناحيها، ثم انشطرت إلى جزئين ... واشتعلت فيها النيران.

عندما أفاق «بو عمير» وجد نفسه في غرفة بيضاء ... وأحسَّ بآلام قاسية في أماكن متعدِّدة من جسمه ... ولكن سمع بجواره من يُنادي باسمه ... ولم يُصدِّق أذنَيه ... لا بد أنه واهم وأدار رأسه ونظر ... وشاهد وجه «أحمد» يَبتسِم له.

كان ضوء النهار يملأ الغرفة ... ورائحة الدواء تملأ الجو ... فأدرك أنه في مستشفى وتذكر الطائرة، وسقوطها الشنيع، والانفجار، ودُهش أنه ما زال حيًّا حتى الآن.

ومال «أحمد» عليه وقال: كيف حالك الآن؟

بو عمير: هل أنت متأكِّد أنني حي؟

قال «أحمد» مبتسمًا: هذا ما يقوله الأطباء. فما رأيك؟

بو عمير: لو لم أركَ وأُصدقك لاعتقدت أنني في الآخرة.

أحمد: أهم من هذا أن الأطباء يقولون إنك ستشفى سريعًا. فكل إصاباتك سطحية، وعظامك سليمة.

بو عمير: كيف نُقلتُ إلى هنا؟ وكيف وصلتَ أنت؟

أحمد: ركبتُ الطائرة التي غادرت مطار بيروت في الحادية عشرة لأكون قريبًا منك ... فهذه الرحلة السريعة التي اقترحها «كريم» أثارت شكوكي ... ولكن بعد أن ركبت الطائرة اكتشفت أنكما لم تكونا بين الركاب ... وكان في إمكاني أن أطلب إنزالي من الطائرة حتى ببعض المشاكل ... ولكن شيئًا ما دفعني أن أبقى ووصلت إلى عُمان في الثالثة والنصف صباحًا فقد توقفت الطائرة بعض الوقت في الكويت ... وعندما نزلت أرض المطار سمعت

عن حادث طائرة خاصة سقطت بالقرب من المطار ... وأنهم نقلوا المصابين إلى المستشفى ... فحضرتُ سريعًا ... ولكنهم منعوا دخول الزائرين حتى الصباح ... ومنذ نصف ساعة سمحوا لي بالدخول ووصفت شكلك للمُمرضين فأدخلوني هنا؟

بو عمير: وباقي الركاب؟

أحمد: سمعت أن ثلاثة ماتوا ... وواحد في حالة خطرة.

بو عمير: ألم تَعرف من هم؟

أحمد: لم أهتمَّ بأحد سواك!

بو عمير: لقد كان ركاب الطائرة ستة غيري ... فأين الباقون؟

أحمد: سأسأل وأعود إليك.

غادر «أحمد» الغرفة مسرعًا ... وظل «بو عمير» ينظر إلى سقف الغرفة مفكرًا من الذي مات ومن المصاب؟ وأين الباقون؟

عاد «أحمد» سريعًا إلى «بو عمير» وقال: هناك ثلاثة كانت إصابتهم أقل. وقد رفضوا دخول المستشفى وانصرفوا بعد الإسعافات الأولية.

بو عمير: هل عرفت أسماء الموتى؟

أحمد: «كريم» واحد منهم ... والباقيان أحدهما في ملابس الطيارين ومصاب بطَلَق ناري.

بو عمير: هذا مُساعد الطيار.

أحمد: والثالث يُدعى مارك، ولا أذكر بقية اسمه ...

بو عمير: والمصاب؟

أحمد: إنه «جوزيف سليم».

بو عمير: معنى هذا أن الطيار والحارس الثاني و«هانز» هم الذين انصرفوا؟

أحمد: سأبحث هذا كله!

بو عمير: إنك لم تعرف الحكاية حتى الآن.

أحمد: لا.

بو عمير: إنها قصة أشبه ما تكون بالأسطورة.

وأخذ «بو عمير» يروي لأحمد ما سمعه من «جوزيف» ... وما حدث للطائرة حتى هبوطها الاضطراري وإصابته.

قال «أحمد» مفكرًا: الاستنتاج الوحيد الذي نخرج به من هذه القصة هو أن نسف الغواصة تم قريبًا من ساحل عمان ... فليس هناك سبب آخر يدعُوهم للقدوم إلى هنا إلا هذا السبب.

بو عمير: وكيف سنَبحث عنهم؟

أحمد: ولماذا أبحث؟ إنهم سيأتون إليَّ بأقدامهم.

وفكر «بو عمير» لحظات ثم قال: معك حق. إنهم سيأتون من أجل «جوزيف سليم» ... فهو الرجل الثالث الذي يعرف مكان الغواصة المجهولة ... ولن يستطيعوا الوصول إليها بدونه.

أحمد: هذا ما أفكر فيه ... سوف أتركك لترتاح ... ثم أعود إليك مرة أخرى بعد الغداء».

وغادر «أحمد» الغرفة ... وعرج إلى الشوارع ... كانت الشمس قاسية في ذلك الوقت من النهار وقد خلت شوارع مسقط لهم مدينةً وميناءً في عمان من السائرين ... إلا عددًا قليلًا كان يسرع للاحتماء من أشعة الشمس بظلال المحلات والبيوت.

كان «أحمد» يفكر في الساعات القادمة. كيف سيتصرَّف «هانز»؟ إنه لن يستطيع الاقتراب من «جوزيف» إلا في الليل ... تمامًا كما فعل مع البحَّار الذي مات في بوسطن ... وفكر «أحمد» أيضًا في الاتصال بالسلطات العُمانية ... ولكن هل يُمكن أحد أن يُصدق هذه القصة الخرافية، خاصةً وأنه لا يملك أية مستندات أو أدلة على ما يقول؟! ... رغم أن كنوز البحار حسب القانون الدولي تخصُّ الدولة التي تقع هذه الكنوز في مياهها الإقليمية ... أي قرب الشاطئ ... ولكن ... هكذا فكر «أحمد» أيضًا ... ربما كان مكان الغواصة بعيدًا عن الشاطئ. وفي هذه الحالة فهو ملك مَن يصل إليه ... ولا يكون «هانز» ولا عصابته موضوع أي سؤال من أحد.

وفجأة وجد نفسه أمام مكتب برقيات ... وقرَّر أن يستدعي عددًا من الشياطين لمساعدته؛ فهو لا يعرف متى يغادر «بو عمير» المستشفى ... ولا حجم المعركة المقبلة مع «هانز» وعصابته.

دخل مكتب البرقيات ... وأرسل برقية إلى عنوانهم في بيروت ... وعندما غادر المكتب واتجه إلى أحد المقاهي ليشرب كوبًا من العصير ... أحسَّ فجأةً أنه مُراقَب ... فقد لاحظ أن شخصًا ما دخل معه عندما دخل المكتب، ثم غادَره خلفه.

وأدرك أن «هانز» وعصابته يعملون ليل نهار من أجل الملايين الخمسة من الفرنكات الذهبية الراقدة في مكانٍ ما في قاع البحر.

النهاية ... كما لا يتصورها أحد

سار «أحمد» ببساطة دون أن يُبديَ أي تصرُّف يدلُّ على أنه عرف أنه متبوع ... واختار بين المقاهي العديدة القريبة من الشاطئ، مقهًى ذا واجهة زجاجية واتجه إليه ... واستطاع في الزجاج أن يرى الرجل الذي يَتبعه ... ودُهش أنه كان يَرتدي الملابس الوطنية ... وأدرك أن «هانز» قد جنَّد عددًا آخر من المواطنين للعمل معه ... وجلس «أحمد»، وراقب الرجل وهو يجلس على مبعدة، وبعد أن شرب كوبًا من العصير قرَّر أن يتجه فورًا إلى المستشفى ... من المؤكد أنهم يراقبون «بو عمير» ... وأنهم يتبعونه منذ خرج من المستشفى.

قام «أحمد» مسرعًا واتجه رأسًا إلى المستشفى التي كانت تقع في أطراف المدينة، ولاحظ على الفور أن الرجل يتبعه ... وبعد فترة أقبل على المستشفى ... ولاحظ أن الرجل ما زال يتبعه.

دخل المستشفى، وقطع الممر الطويل إلى غرفة «بو عمير» ... وما زال الرجل يسير خلفه ... وفتح «أحمد» الباب وتظاهَر بأنه سيدخل ... ولكنه انتظر لحظات كانت كافية لأن يُصبح الرجل قريبًا منه ... فألقى نظرة على الممر ولاحظ أن لا أحدَ يراه ... وبسرعة جذب الرجل بكل قوته وألقى به وبنفسه من الباب المفتوح على أرض الغرفة ... تمَّت العملية في سرعة مذهلة حتى إن الرجل بقي واقعًا على الأرض مذهولًا ... وفي نفس الوقت وجد «أحمد» نفسه في مواجَهة خطر آخر ... كان ثمة رجل يلوي ذراع «بو عمير» ويرفع خنجرًا يُحاول أن يطعنه به ... وبأسرع من البرق كان «أحمد» يقفز على الرجل مُمسكًا ذراعه المرتفعة بالخنجر ويَلويها بقوَّة بالغة، وصرَخ الرجل، وأداره «أحمد» من ذراعه فوق الفراش، ثم ألقاه فوق زميله المُلقى على الأرض.

جلس «بو عمير» في فراشه رغم الآلام التي يحسُّ بها ... على استعداد للتدخل، ولكن لم يكن «أحمد» في حاجة إلى أيِّ مساعدة ... فقد انحنى على الرجل الواقع على الأرض وسحب من تحت حزامه مسدَّسًا شهره في وجه الرجلين.

قال «أحمد»: أنتما من طرف «هانز»؟

لم يردَّ الرجلان ... وظلا ينظران إليه كأنه شيطان ... لقد هزمهما معًا في لحظات خاطفة، حتى إنهما انكمشا في جانب الغرفة دون أن يَنبسا بكلمة واحدة.

قال «أحمد»: «بو عمير»، راقبهما! فسوف أذهب لأرى «جوزيف».

أمسك «بو عمير» بالمسدس وخرج «أحمد» مُسرعًا، وبعد لحظات عاد وعلى وجهه آثار غضب هائل، وقال: لقد أخذوا «جوزيف».

بو عمير: كيف؟

أحمد: حضرت سيارة بها مُمرِّضُون من المؤكد أنهم مزيَّفون، وتسلموه لإدخاله مستشفًى خاصًّا كما قالوا.

بو عمير: إنهم بالطبع من عصابة «هانز»!

أحمد: لا أشك في ذلك لحظة واحدة ... لقد خطفوا «جوزيف» وحاولوا القضاء عليك ... إنهم يعملون بسرعة خارقة.

وأمسك «أحمد» بالمسدَّس مرةً أخرى، وقال: سأقتل هذَين الرجلين حتى لا يتبعانا.

صاح أحد الرجلين: يا سيدي رحمتك!

أحمد: أين «هانز»؟

الرجل: نحن لا نعرف أحدًا بهذا الاسم.

أحمد: أين الرجل الذي أرسلك؟

تردَّد الرجل لحظات، ولكن «أحمد» وضع المسدس على حلق الرجل، فقال بصوت متحشرج: جزيرة مصيرة يا سيدي!

كان «أحمد» يعرف هذه الجزيرة فقد ألقى نظرة على خريطة عُمان وهو في المطار ... وهي جزيرة صغيرة تقع في أقصى الجنوب الشرقي لعُمان ... فقال «أحمد» موجهًا حديثه إلى «بو عمير»: هل تستطيع الحركة؟

بو عمير: إنني على ما يُرام.

أحمد: ساعدني في شدِّ وَثاق هذين الوغدَين.

وأمسك «أحمد» بأغطية الفراش، ومزَّقها بالخنجر الذي ألقاه الرجل، وسرعان ما كان هو و«بو عمير» يشدان وثاق الرجلين ويُكمِّمانهما بعد أن جرداهما من ملابسهما ... وتعاونا على وضعهما تحت الفراش ثم لبسا العباءتين والعقالين.

وقال «أحمد»: هيا بنا.

خرج الاثنان ... «أحمد» يَحمل المسدس تحت ملابسه ... و«بو عمير» يضعه تحت العباءة في انتظار أية مفاجآت ... ولكن لم يحدث شيء حتى غادرا المستشفى وانطلقا إلى الميناء.

اختارا مقهًى صغيرًا قبل الميناء وجلسا ... كان كلٌّ منهما يفكر في الخطوة التالية.

قال «أحمد»: لقد أرسلت برقية إلى بيروت ... وطلبت حضور بعض الزملاء.

بو عمير: لا أظن أنهم سيأتون قبل منتصف الليل ... أين تركت عنوانك؟

أحمد: طلبت منهم الانتظار في المطار لحين حضوري. على أن يرسلوا برقية إلى مكتب التلغراف.

بو عمير: وماذا نفعل حتى ذلك الوقت؟

أحمد: أقترح أن نبحث عن غرفة في فندق صغير ... فنحن لا نستطيع الهجوم قبل أن يهبط الظلام.

بو عمير: هل سنُهاجم «هانز» وعصابته؟

أحمد: ما رأيك؟

بو عمير: إنني سأكون عبئًا عليك ... ولن تهاجم وحدك ... فهذا جنون؟!

هز «أحمد» رأسه ... كان منطق «بو عمير» معقولًا ... ولكن هل يترك الفرصة تفوته بعد أن أصبح «هانز» وجهًا لوجه ... يتركهم يستولون على الكنز الذهبي!

قال «أحمد»: سأذهب للبحث عن غرفة ... وسأعود بعد لحظات.

اختار «أحمد» أقرب فندق إلى الميناء، وحجز غرفة باسمه، فلم تكن هناك أوراق مع «بو عمير»، ثم عاد وأخذ زميله ... وصعدا إلى الغرفة معًا ... وطوال الوقت كان «أحمد» يراقب ما حوله جيدًا حتى لا يكونا مُراقبَين.

جلسا معًا في الغرفة الرطبة ... وابتسم «أحمد» قائلًا: قصة غريبة، والأغرب أن يقف الشياطين دون حراك وعدوُّهم على بعد خطوات منهم.

بو عمير: إنني على استعداد للعمل.

أحمد: إذا لم يحضر أحد من الشياطين في منتصف الليل فسوف نهاجمهم معًا رغم كل النتائج.

بو عمير: هناك حلقة ناقصة في هذه القصة ... إن ثلاثة رجال كما قال «جوزيف» كانوا يعلمون سر الغواصة المجهولة ... «جوزيف» نفسه ... والبحَّار الذي مات في بوسطن، فمن هو الثالث؟!

أحمد: لا بد أن «هانز» قد أحضره هو الآخر.

بو عمير: ولكن لم يكن معنا في الطائرة.

أحمد: ربما سبقكم.

تمدَّد «بو عمير» على الفراش الوحيد في الغرفة ... وسرعان ما ذهب في النوم ... وانتهز «أحمد» الفرصة ونزل مسرعًا ... وأخذ تاكسيًا إلى مكتب التلغراف ... وكم كانت فرصة عندما وجد برقية من «عثمان»: سنصل في العاشرة تقريبًا.

نظر «أحمد» في ساعته. كانت الثالثة بعد الظهر، أسرع عائدًا بالتاكسي إلى الفندق وطلب غداءً له ولـ «بو عمير» ... ثم أيقظه من النوم وأبلغه بمضمون برقية «عثمان».

قال «بو عمير» وهو يتناول قطعة من اللحم: لقد أفادني النوم كثيرًا ... وأُحسُّ برغبة قوية في العمل.

أحمد: سننتظر حتى وصول «عثمان» ... وأعتقد أنه سيأتي مع «زبيدة» و«إلهام».

وبعد أن انتهيا من الكلام قال «أحمد»: سأنام قليلًا.

وتمدَّد «أحمد» ومضى الوقت.

في السابعة تقريبًا استيقظ «أحمد» أكثر نشاطًا ... وشربا الشاي معًا ... وتبادلا بعض الحديث.

وفي التاسعة غادرا الفندق إلى المطار ... وفي العاشرة كانت الطائرة القادمة من بيروت تدرج على أرض المطار ... وبعد دقائق كان الثلاثة الذين توقع «أحمد» حضورهم ينزلون.

«عثمان» ... و«زبيدة» ... و«إلهام» ...

وخفق قلب «أحمد» عندما شاهد «إلهام» بطولها الفارع ورشاقتها تخطو على أرض المطار، وابتسم وهو يرى حقيبتها ... كان أي شخص غيره يظنُّ أنها تحمل فيها أدوات التجميل ... أما هو فقد كان يعلم أن في جيوبها السحرية عددًا لا بأس به من أحسن أنواع المسدسات.

التقى الشياطين الخمسة لقاءً حارًّا ... وكانت مفاجأة للثلاثة القادمين ما رأوه على وجه بو عمير من آثار الحادث ... وقال «أحمد»: إنه حسنُ الحظ ... فقد سقطت به الطائرة.

زبيدة: كيف؟

وروى لهم «أحمد» كل ما حدث باختصار ... وأخذوا تاكسيًا إلى الفندق؛ حيث حجزوا ثلاث حجرات، ثم فتحت «إلهام» الحقائب وأخرجت الأسلحة.

استطاع «أحمد» بسرعة أن يستأجر قاربًا بخاريًّا للشياطين ... وسرعان ما كانوا يَطيرون فوق الماء في اتجاه جزيرة مصيرة الصغيرة بعد أن سألوا عن مكانها بالضبط، وبعد ساعة تقريبًا كانوا يقتربون من الجزيرة.

ولاحظوا على الفور وجود يخت ضخم مُضاء الأنوار في طرف الجزيرة البعيد. فأرسلوا القارب عند صخرة كبيرة ثم هبطوا إلى الشاطئ وبدءوا رحلتهم فوق الصخور محاذرين.

بعد فترة من الوقت شاهدوا كوخًا صغيرًا مضاءً ... وأمامه رجل يَحمل مدفعًا رشاشًا ... وابتسم «عثمان» وهز كرته الجهنمية في يده ... ثم تقدم وحده حتى أصبح على بعد عشرة أمتار من الرجل وأطلق الكرة في خط مستقيم ... وسرعان ما كان الرجل يسقط كقطعة الطوب.

وابتسم «عثمان» للأصدقاء وتقدم ليلتقط كرتَه ... وتقدم خلفه الأصدقاء ودخلوا الكوخ ... لم يكن به شيء له أهمية ... ووجدوا قاربًا صغيرًا قفزوا إليه ... وبعد لحظات كانوا يشقون طريقهم إلى اليخت الضخم بعد أن داروا دورة واسعة ليأتوا إليه من جانب البحر وليس من جانب الجزيرة حتى يكونوا بعيدين عن مراقبة الحراس.

أخرج «عثمان» سلمًا من الحبال له خطاف مُغطًّى بالمطاط حتى لا يُحدث صوتًا ثم قذفه إلى فوق فأمسك بطرف اليخت ... وسرعان ما كان «أحمد» يصعد السلم وخلفه بقية الشياطين ... وكما توقع الشياطين ... كان هناك حارسان على الجانب الآخر لليخت ... فزحف هو و«عثمان» وخلفهما «زبيدة» و«إلهام» واقترب الأربعة من الحارسين ... كان هدفهم إسقاطهم في الماء حتى لا يُحدِثا صوتًا إذا سقطا على سطح اليخت ... ووقف «عثمان» في وجه الحارس فجأةً ... وارتبك الرجل ... فأطلق «عثمان» يده في لكمة ساحقة، بينما تلقت «زبيدة» الرجل بين ذراعيها قبل أن يسقط على سطح اليخت ... وتكرَّر نفس المشهد مع «أحمد» و«إلهام»، وسرعان ما كان الحارسان ينزلقان على جانب اليخت بهدوء إلى الماء.

وتقدم «أحمد» من السلم النازل إلى قلب اليخت ... وشاهد كابينة مضاءة تَصدُر منها بعض الأصوات ... واقترب «أحمد» وخلفه «عثمان» ... بينما بقيت «إلهام» و«زبيدة» على السطح مع «بو عمير».

تقدم «أحمد» حتى وقف أمام الباب ونظر ... وشاهد منظرًا لا يُنسى ... كان «جوزيف سليم» نائمًا على ظهره، وأحد الأطباء مُنحنٍ عليه ... وكان «هانز» ورجل آخر يقفان يراقبان ما يحدث.

ووقف الطبيب قائلًا: لا فائدة، لقد مات.

قال «هانز» بغضب: يا للحظ السيئ! ... بعد كل ما فعلتُ يموت الرجل الذي يعرف السر!

قال الرجل الآخر: ما زال هناك الرجل الثالث ... فتمالك نفسك يا «هانز».

صاح «هانز» كالمجنون: أتمالك نفسي كيف؟! لقد طفتُ بالعالم كله حتى وصلت إلى رجلين من الثلاثة ... فأين أعثر على الثالث؟!

انسحب «أحمد» في هدوء ... وأشار إلى «عثمان» ... وانضمَّ الاثنان إلى بقية الشياطين على سطح اليخت ... ثم نزلوا السلم إلى قاربهم الصغير وقال «أحمد»: لقد مات «جوزيف» ومات سرُّه معه ...

قال «بو عمير»: والرجل الثالث؟

رد «أحمد»: إن «هانز» يبحث عنه ... وإذا وجده ما زال حيًّا فسوف يأتي مرةً أخرى إلى هنا، ولعلَّنا نكون خلفه نحن أيضًا.

ومضى القارب الصغير في طريقه إلى الشاطئ. والشياطين الخمسة يُفكِّرون كيف يمكن أن تنتهي مغامرة عنيفة ... هذه النهاية الهادئة ...

هنـــداوي